"التَّعريف" في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط: النشأة والأسباب

خالد محمد محمود يونس

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد بقسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة والفنادق، جامعة مدينة السادات

الملخص

يدرس هذا البحث نشأة ظاهرة التَّعريف (القعود يوم عرفة بعد العصر) بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر في ولاية الأمير الأموي عبد العزيز بن مروان (ولي مصر: 65–86 هـ)، أملا في استكناه أصل هذه الظاهرة وملابسات نشأتها إبّان أحداث الفتنة الثانية (61–73 هـ)، وتحديدا أثناء الصراع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، والذي انتهى بمقتل عبد الله بن الزبير سنة 73 هـ. فمحور هذا البحث يدور في فلك الإجابة عن السؤال: هل نشأة التعريف في مسجد مصر الجامع (جامع عمرو بن العاص) في إمارة عبد العزيز بن مروان كان تقليدا للتعريف الذي عرفته مساجد البصرة والكوفة من قبل، أم أن الأمر كان له بعد سياسي آخر؟

الكلمات الدالة: التَّعريف، جامع عمرو بن العاص، الفسطاط، مصر، عبد العزيز بن مروان الأمير، الفتنة الثانية (61–73 هـ)، البردي العربي.

ذكر المؤرخ المصري أبو عمر الكندي (ت 350 هـ)[1] في كتابه (الولاة) أن عبد العزيز بن مروان هو أول من عَرَّف بمصر في سنة إحدى وسبعين هجرية.[2] ثم ألحق الكندي هذا الخبر برواية أخرى مفسرة، جاء فيها: "إن أول من أحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان".[3]

وقبل أن نشرع في شرح معنى التعريف ودراسة نشأة هذه الظاهرة وسببها في مصر، وجب أولا التعريف بصاحب هذه الأولية (عبد العزيز بن مروان)، وكيف آلت إليه ولاية مصر.

---

[1] أبو عمر محمد بن يوسف التُجيبي الكندي المصري، ولد بمصر سنة 283 هـ، وتوفي ودفن بها سنة 350 هـ. له مصنفات عديدة في تاريخ مصر وأحوالها، منها: كتاب الخطط، وكتاب الموالي، وكتاب الخندق والتراويح، وكتاب سيرة السري بن الحكم، وكتاب الجند الغربي أو الأجناد الغرباء، وكتب تسمية ولاة مصر، وكتاب القضاة؛ لم يبق منها إلا كتابيه تسمية ولاة مصر وكتاب القضاة، ذُشرا في طبعة واحدة تحت عنوان كتاب الولاة وكتاب القضاة يُعد هذا الكتاب أحد أهم وأقدم المصادر التاريخية العربية المحلية الباقية بمصر. للمزيد عن هذا المؤرخ وكتابيه الولاة والقضاة، انظر حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ أبو عمر محمد بن يوسف المصري وكتابه الولاة والقضاة، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.؛ عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2004، ج 2، ص 565–652.

[2] الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: رفن كست، ليدن: بريل، 1912، ص 50. انظر أيضا القضاعي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف المعروف بتاريخ القضاعي، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1995، ص 338.

[3] الكندي، الولاة والقضاة، ص 50.

أولا: نسبه

أبو الأَصْبَغ عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أمه ليلى بنت زَبَّان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن بن الحارث بن حصن بن ضمضم الكلبية.[4] كان عبد العزيز يعتز بأمه ليلى وبقبيلتها (كلب) اعتزازه بنسبه الأموي القرشي، حتى أنه اشتُهر بابن ليلى، وتبارى الشعراء في مدحه بهذا الاسم.[5]

ابن الخليفة مروان بن الحكم (ولي الخلافة: 64–65 هـ) وولي ولي عهده، وأخو الخليفة عبد الملك بن مروان (ولي الخلافة: 65–86 هـ) – غير الشقيق – وولي عهده، وأبو الخليفة عمر بن عبد العزيز (ولي الخلافة: 99–101 هـ)، وعم الخلفاء: الوليد بن عبد الملك (ولي الخلافة: 86–96 هـ)، وسليمان بن عبد الملك (ولي الخلافة: 96–99 هـ)، ويزيد بن عبد الملك (ولي الخلافة: 101–105 هـ)، وهشام بن عبد الملك (ولي الخلافة: 105–125 هـ). فهو ابن الخليفة، وأخو الخليفة، وأبو الخليفة، وعم الخلفاء.

ثانيا: مولده ووفاته

لا نجد ذكرا في كتب التاريخ عن مولده ونشأته، ولا عن عمره حين توفي، إلا أن الراجح بعد سبر الروايات أنه ولد بالمدينة المنورة بعد سنة 26 هـ، سنة ولادة أخيه الأكبر عبد الملك والذي كان يُكَنَّى به أبوه مروان بن الحكم.[6] وأما

[4] انظر ترجمته عند الكندي، الولاة والقضاة، ص 70؛ ابن يونس، تاريخ ابن يونس الصدفي، تحقيق: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، جزءان، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2000، ج 2، ص 129–130؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، 74 جزءا، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ج 36، ص 345–360؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، 16 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1992، ج 1، ص 223؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، 35 جزءا، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1983، ج 18، ص 197–201؛ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، د.ت.، القسم الأول، ص 63؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، 25 جزءا، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1996، ج 4، ص 249–251؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، 11 جزءا، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 2001، ج 7، ص 232–233؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، 21 جزءا، القاهرة: دار هجر، الطبعة الأولى، 1997، ج 12، ص 363–370؛ البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، 13 جزءا، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1996، ج 6، ص 333–336؛ ج 8، ص 123–125؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، 4 أجزاء، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995، ج 2، ص 594؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 4 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.، ج 1، ق 1، ص 306–307. انظر أيضا سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر/دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967، ص 10–19.

[5] انظر المصادر والمراجع السابقة.

[6] انظر سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 14–16. انظر أيضا فواز علي بن جنيدب الدهاس، مروان بن الحكم: مؤسس الفرع المرواني في الدولة الأموية، جامعة أم القرى: مركز بحوث الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 2004، ص 10.

فيما يخص تأريخ وفاته، فقد اختلف المؤرخون المصريون ومؤرخو المشرق في تحديد سنة وفاته، ففي حين أجمع المؤرخون المصريون على أنه توفي سنة ست وثمانين – وإن اختلفوا في اليوم والشهر –، اختلف مؤرخو المشرق في تأريخ وفاته بين سنوات اثنين وثمانين،[7] وأربع وثمانين،[8] وخمس وثمانين،[9] وست وثمانين.[10] ولا شك أن ترجيح الروايات المصرية على الروايات المشرقية هو الأثبت، فمؤرخو مصر أدرى بذلك من غيرهم، لأن عبد العزيز مات ودفن بمصر. وفيما يلي حصر للروايات المصرية الخاصة بتأريخ وفاة عبد العزيز بن مروان:

ذكر الكندي أن عبد العزيز بن مروان مرض بعد وفاة ابنه الأكبر الأصبغ، ثم توفي بعده بقليل بمدينة حُلْوان[11] ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين هجرية، قال: "وتوفي الأصبغ بن عبد العزيز ليلة الخميس لتسع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين. مرض عبد العزيز بعد وفاة الأصبغ ثم توفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين، فَحُمِل في الليل من حلوان إلى الفسطاط فَدُفن فيها".[12] وقد نقل المقريزي (ت 845 هـ) ذلك نصا عن الكندي دون سند أو إحالة.[13] أما ابن عساكر (ت 571 هـ)

[7] خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بغداد، 1967، ص 240–241؛ المزي، تهذيب الكمال، ج 18، ص 200؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 594؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ق 1، ص 307؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 347.

[8] خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض: دار طيبة، الطبعة الثانية، 1985، ص 289، 297؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 354، 359؛ المزي، تهذيب الكمال، ج 18، ص 200؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 594.

[9] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 10 أجزاء، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1969، ج 6، ص 413–415؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، 18 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1992، ج 6، ص 263؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، 5 أجزاء، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، 1960، ج 1، ص 99؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، 11 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1987، ج 4، ص 234–235؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص353، 360؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ج 7، ص 233؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، 33 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2004، ج 21، ص 167؛ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، 4 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1997، ج 1، ص 140؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري وآخرون، 27 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2010، ج 25، ص 232.

[10] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 350–351، 360؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 263. انظر أيضا سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 14–15.

[11] أسسها عبد العزيز بن مروان لما وقع الطاعون بمصر سنة 70 هـ، وكانت تبعد عن الفسطاط بنحو فرسخين من جهة الصعيد. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5 أجزاء، بيروت: دار صادر، 1977، ج 2، ص 293–294؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، 6 أجزاء، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995، ج 1، ص 568–572. انظر أيضا سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 172–177.

[12] الكندي، الولاة والقضاة، ص 76.

فقد أورد الرواية بسندها ليحيى بن بُكَير (ت 231 هـ) عن الليث بن سعد (ت 175 هـ) مع اختلاف طفيف في تأريخ ليلة وفاة الأصبغ بن عبد العزيز، إذ أرخها لسبع ليال بقين من شهر ربيع الأول بدلا من تسع ليال بقين من شهر ربيع الأول، وهذا فيما يبدو مجرد تصحيف.[14] أما ابن عبد الحكم (ت 257 هـ) فقد أورد الرواية نفسها، ولكنه جعل وفاته ليلة الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين هجرية، أي بفارق ليلة واحدة عما ذكره الكندي والمقريزي وابن عساكر.[15] وهو ما نقله السيوطي (ت 911 هـ) نصا دون ذكر السند، قال: "وكانت وفاته ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين".[16] وقد اعتمد ابن يونس (ت 347 هـ) أيضا على رواية ابن بكير، ولكنه جعل وفاته في الثاني عشر من جمادى الآخرة وليس في جمادى الأولى، أي بفرق شهر وليلة عما ذكره الكندي والمقريزي وابن عساكر، وبفارق شهر عما ذكره ابن عبد الحكم والسيوطي، قال: "وكانت وفاته – كما حدثنا علي بن الحسن بن قُدَيد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن يحيى بن بكير عن الليث – ليلة الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين".[17] أما ابن إياس (ت 930 هـ) فذكر أنه "طُعِنَ [أي أُصيب بالطاعون] تحت إبطه، فلما كانت ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين توفي بحلوان، فلما أصبح الصباح، حُمِل في نعش من حلوان إلى مدينة الفسطاط وقد تغيرت رائحته، فكان حول نعشه مجامر النار وهي مطلوقة بالبخور حتى دخل إلى الفسطاط فدفن بها".[18] وقد ذكر ابن الزيات (ت 814 هـ) أن قبره كان معروفا في مقبرة مصر، وكان عليه قبة.[19]

ويتضح من الروايات السابقة أن مصدرها يدور على رواية ابن بكير عن الليث بن سعد، وأنها جميعا تتفق في تحديد سنة وفاة عبد العزيز بن مروان بسنة 86 هـ، إلا أنها تختلف في تحديد اليوم (الثاني عشر أم الثالث عشر)، والشهر (جمادى الأولى أم جمادى الآخرة)، كما أنها تختلف في تحديد سبب وفاة عبد العزيز بن مروان بين حزنه على موت

---

[13] المقريزي، الخطط، ج 1، ص 571.

[14] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 360. انظر أيضا ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 225.

[15] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد صبيح، القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت.، ص 156.

[16] السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1967، ج 1، ص 587. انظر أيضا ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، 8 أجزاء، مكة المكرمة: دار الباز، د.ت.، ج 1، ص 122.

[17] ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ج 2، ص 130، وتعليق المحقق في الحاشية رقم 2 بالصفحة نفسها. انظر أيضا الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 249–251؛ المزي، تهذيب الكمال، ج 18، ص 197–201؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 350–351؛ سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 19–20.

[18] ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ص 122.

[19] ابن الزيات، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1907، ص 144–145. انظر أيضا السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تحقيق: محمود ربيع وحسن قاسم، القاهرة: مطبعة العلوم والآداب، 1937، ص 266.

ابنه الأكبر الأصبغ، وإصابته بمرض الطاعون. أما المؤرخ اليعقوبي (ت 292 هـ) فقد زعم أنه مات مسموما بدس من أخيه الخليفة عبد الملك، عندما رفض عبد العزيز أن يتنازل عن ولاية العهد لابني عبد الملك (الوليد وسليمان)، وأرخ وفاته بسنة 85 هـ، قال: "وقيل إن عبد الملك لم يخلعه، ولكنه تُوفي في تلك المدة التي هَمَّ بخلعه فيها، وقيل إن عبد العزيز سُقِيَ سُما، وكان ذلك في سنة 85 هـ".[20] وقد وهم اليعقوبي في الأمرين معا (تأريخ الوفاة وسببها)، وهو ما تنفيه الروايات المصرية من الأساس.

وللترجيح بين الروايات المصرية لتحديد يوم وشهر وفاة عبد العزيز على وجه الدقة، علينا مراجعة التقاويم الهجرية والميلادية للتأكد إذا ما كانت هذه التواريخ تتوافق مع ليلة الاثنين أم لا، وهي الليلة التي اتفق جُل المؤرخين المصريين على وفاته فيها.[21]

ومن البداية يمكننا أن نستبعد رواية ابن يونس والتي تقضي بأنه توفي ليلة الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين، وذلك لأن هذا التاريخ يوافق يوم الأربعاء العاشر من شهر يونيو لسنة 705 م. ومما يعزز استبعاد شهر جمادى الآخرة ما ذكره الكندي من أن قدوم عبد الله بن عبد الملك واليا على مصر بعد وفاة عمه عبد العزيز كان يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين (الثلاثاء، التاسع من يونيو 705 م).[22] فكيف إذًا تصح ولاية عبد الله بن عبد الملك وقدومه إلى مصر قبل تاريخ وفاة عمه عبد العزيز بليلة! علاوة على ذلك، فقد ذكرت بعض الروايات المشرقية أن وفاة عبد العزيز كانت قبل وفاة أخية عبد الملك بنحو خمسة أشهر، وقيل بثمانية أشهر، وقيل بسنة.[23] ومعلوم أن وفاة عبد الملك كانت في النصف من شوال سنة 86 هـ، وبذلك يصح استبعاد شهر جمادى الآخرة تماما.

ومن ثم، يبقى الترجيح بين ليلتي الثاني عشر والثالث عشر من جمادى الأولى، وليس ذلك بالعسير، إذ أن التاريخ الذي يوافق ليلة الاثنين من شهر جمادى الأولى لسنة 86 هـ، هو الثاني عشر وليس الثالث عشر، وهو يوافق الحادي عشر من مايو لسنة 705 م. وعليه، تكون رواية ابن عبد الحكم هي الأصح، وتكون وفاة عبد العزيز بن مروان في ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى لسنة 86 هـ بحلوان، ولكنه حُمل ودفن بالفسطاط كما سبق

[20] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جزءان، بيروت: دار صادر، الطبعة السادسة، 1995، ج 2، ص 280.

[21] راجع موقع معهد الدراسات الشرقية والأسيوية بجامعة ميونخ لتحويل التاريخ الهجري لميلادي والعكس (Islamischer Kalender). https://www.apd.gwi.uni-muenchen.de/aps/home/chrono_islam.html (accessed, February 2023).

[22] الكندي، الولاة والقضاة، ص 58.

[23] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 6، ص 413؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 234؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 349، 353؛ المزي، تهذيب الكمال، ج 18، ص 201.

وذكرنا. وإذا اعتمدنا رأي الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف بأن عبد العزيز لم يصغر أخاه عبد الملك إلا قليلا، وأن سنهما كانت متقاربه، فهذا يعني أن عبد العزيز مات في سن الستين تقريبا.[24]

أما سبب الوفاة، فيمكن الجمع بين القولين، فنقول بأن حزنه على وفاة ابنه الأكبر الأصبغ – والذي كان عبد العزيز يؤمل أن يخلفه من بعده – علاوة على مرضه بالطاعون الذي انتشر بمصر وقتها، كانا كلاهما السبب في وفاته. فمن المعلوم أن انتشار الطاعون بالفسطاط سنة 70 هـ كان السبب الرئيس في خروج عبد العزيز عنها، وتحوله إلى حلوان.[25] والظاهر أن الطاعون ظل منتشرا على نطاق واسع حتى سنتي 85 و 86 هـ، كما تذكر بعض المصادر التاريخية، فكان هلاك عبد العزيز فيه.[26] فكما أوردنا سابقا، فإن المؤرخ ابن إياس ذكر صراحة أنه طُعِنَ تحت إبطه، وأن رائحة جثته تغيرت عند نقله من حلوان إلى الفسطاط، مما دعا إلى حمل مجامر البخور (العود) حول نعشه حتى دُفِن.

ولا شك أن معرفة ابن إياس بالهيئة التي كان عليها النعش قبل الدفن يرجع إلى الرواية التي ذكرها ابن عبد الحكم عن سعيد بن عيسى بن تَلِيد (ت 219 هـ) وغيره من الشيوخ، والتي جاء فيها: "خرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلا في الصحراء في موضع منها يقال له أبو قرقور، وهو رأس العين التي احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها إلى نخله التي غرسها بحلوان، فكان ابن حديج [عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، القاضي وصاحب الشرطة] يرسل إلى عبد العزيز في كل يوم بخبر ما يحدث في البلد من موت وغيره، فأرسل إليه ذات يوم رسولا، فأتاه، فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ فقال: أبو طالب. فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه، فقال له عبد العزيز: أسألك عن اسمك، فتقول أبو طالب! ما اسمك؟ فقال: مدرك، فتفاءل عبد العزيز بذلك. **ومرض في مخرجه ذلك، ومات هنالك، فحمل في البحر يراد به الفسطاط، فاشتدت عليه الريح، فلم يبلغ به الفسطاط حتى تغير، فأنزل في بعض خصوص ساحل مريس، فغسل فيه، وأخرجت من هنالك جنازته، وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان من تغير ريحه**، وأوصى عبد العزيزأن يـُمر بجنازته إذا مات على منزل جناب [ابن مرثد بن زيد بن هاني الرعيني، صاحب حرسه[27]]، وكان له صديقا، وكان جناب قد توفي قبل عبد العزيز، فَمر بجنازة عبد العزيز على بابه، وقد خرج عيال جناب فلبسوا السواد ووقفن على الباب صائحات، ثم اتبعنه إلى المقبرة. وجناب صاحب قصري جناب

[24] سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 14-15.

[25] الكندي، الولاة والقضاة، ص 49؛ المقريزي، الخطط، ج 1، ص 569؛ ج 2، ص 48. انظر أيضا ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 239.

[26] انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ص 122؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 275؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 235-236، 268.

[27] هذه الزيادة عند المقريزي، الخطط، ج 1، ص 568.

اللذين بفسطاط مصر، ينسب أحدهما اليوم إلى ابن يريم، وكان نُصَيْب الشاعر (ت 108 هـ)[28] قدم على عبد العزيز بن مروان في مرضه، فاستأذن عليه، فقيل له: هو مغمور[29]، فقال استأذنوا لي فإن أُذِن فذلك، وكان لنصيب من عبد العزيز ناحية[30]، فَأُذن له، فلما رأى شدة مرضه، أنشأ يقول:

ونزور سيدنا وسيد غيرنا *** ليت التشكي كان بالعواد

لو كان تقبل فدية لفديته *** بالمصطفى من طارفي وتلادي[31]

فلما سمع عبد العزيز صوته، فتح عينيه، وأمر له بألف دينار، واستبشر بذلك آل عبد العزيز، وفرحوا به، ثم مات، وكانت وفاته – كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد – ليلة الاثنين لاثنتي عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين".[32] وقد نقل السيوطي والمقريزي هذه الرواية نصا عن ابن عبد الحكم.[33]

هذه الرواية المصرية بكل ما تحمله من تفاصيل عن خبر وفاة عبد العزيز بن مروان تعزز ما استنبطناه سابقا من تقديم روايات المؤرخين المصريين على روايات غيرهم من مؤرخي المشرق فيما يخص تأريخ وفاة عبد العزيز بن مروان.

ثالثا: نشأته بالمدينة المنورة وأثرها في حياته السياسية والدينية

أمضى عبد العزيز بن مروان سنوات طفولته وشبابه في المدينة المنورة، حيث أقام أبوه مروان بن الحكم بها مدة أربعين سنة (24–64 هـ) ، عَمِل فيها كاتبا للخليفة الراشد عثمان بن عفان (ولي الخلافة: 24–35 هـ)، ثم أصبح واليا على المدينة في خلافة الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان (ولي الخلافة: 41–60 هـ).[34] وقد أتاحت نشأة عبد العزيز بن مروان بالمدينة – عاصمة الخلافة الإسلامية الراشدة – فرصة ثمينة ليتعلم فيها أساليب الحكم

[28] أبو مِحْجَنٍ صُهَيْب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان. شاعر فحل من شعراء العصر الأموي، مُقدم في النسيب والمدائح. كان نصيب عبدا أسودا مملوكا لرجل من بني نكِلة يُدْعَى راشد بن عبد العزى. أنشد بين يدي عبد العزيز بن مروان أبياتا، فاشتراه عبد العزيز وأعتقه. انظر خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 8 أجزاء، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، 2002، ج 8، ص 31–32.

[29] يحتضر، في غمرات الموت.

[30] أي له مكانة خاصة عنده.

[31] نسب ابن عبدربه هذين البيتين لكُثَيِّر عَزّة. انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحيني، 8 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1983، ج 2، ص 282.

[32] ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 155–156؛ وكيع، أخبار القضاة، مراجعة: سعيد محمد اللحام، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2001، ص 634.

[33] السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص 586–587؛ المقريزي، الخطط، ج 1، ص 568–569.

[34] فواز علي بن جنيدب الدهاس، مروان بن الحكم، ص 49–62.

والإدارة والسياسية في كنف أبيه من جانب، وليتتلمذ فيها على شيوخ المدينة وعلمائها من أصحاب رسول الله وتابعيهم من جانب آخر، فنشأ عبد العزيز بن مروان نشأة سياسية ودينية متوازنة كانت له ذخرا طوال سنوات عمره، وخاصة أثناء فترة ولايته الطويلة على مصر. روى الحديث عن عدد من صحابة رسول الله منهم: أبي هريرة وعقبة بن عامر الجهني، كما روى عن أبيه مروان بن الحكم، وعن خصم بني أميه ومنافسهم السياسي الأكبر عبد الله بن الزبير. وَثَّقَه علماء الحد يث، وعَدَّه بعضهم في الطبقة الثانية من أهل المدينة، بينما عَدَّه آخرون في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام. لا تخلو ترجمته من أخبار وروايات تمتدح علمه وورعه وتقواه وكرمه ومحبته لمجالسة العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والفصحاء وغيرهم من أهل البر والصلاح.[35]

رابعا: ولايته على مصر

ذكر الكندي أن مروان بن الحكم أقام بمصر شهرين بعد أن استردها للأمويين من قبضة الوالي الزبيري عبد الرحمن بن عتبة بن جَحْدَم الفهري[36]، فلما استقرت له الأمور بها جعل ولاية مصر (صلاتها وخراجها)[37] إلى ابنه عبد العزيز. وقد تردد عبد العزيز في البداية لعِظَم المسؤوليةلبوُعد الشُقة بين مصر ومقر الخلافة بدمشق، حيث أهله وخِلّانه، فقال لأبيه: "يا أمير المؤمنين، كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي؟" فجاءه الرد شافيا وافيا جامعا لخلاصة خبرات وتجارب مروان بن الحكم السياسية الطويلة، قال له: يٰا بـ ُني عُمَّهم بإحسانك يكونوا كلهم بني أبيك،

[35] انظر المصادر السابق ذكرها في حاشية رقم 4. انظر أيضا سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 190–194.

[36] عبد الرحمن بن عتبة بن إياس بن الحارث بن عبد أسد بن جحدم بن عمرو بن عائش بن ضرب بن الحارث بن فهر. ولي ولاية مصر من قبل عبد الله بن الزبير. قدم مصر في شعبان سنة 64 هجرية ومعه جمع كثير من الخوارج الذين كانوا مع ابن الزبير بمكة من أهل مصر ومن غيرهم. عندما عَلِمَ بمسير مروان بن الحكم إلى مصر أجمع على حربه ومنعه، فأشار عليه الجند بحفر خندق يخندق به على الفسطاط، فأمر بحفره، فُحِفَر في شهر واحد. ولما نزل مروان بن الحكم بعين شمس خرج إليه ابن جحدم في أهل مصر، فتحاربوا يوما أو يومين، ثم رجعوا إلى خندقهم، فصُفُوا عليه، فكانت تلك الأيام تسمى أيام الخندق والتراويح، لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نوبا، يخرج منهم جماعة ثم يرجعون فيخرج غيرهم وهكذا. ثم إن جماعة من أشراف أهل مصر (كُرَيْب بن أبرهة وعابس بن سعيد وزياد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المعافري) قاموا في الصلح بين مروان بن الحكم وأهل مصر، على ألا يكشف ابن جحدم على أمر جرى على يديه وأن يدفع إليه مروان بن الحكم مالا وكسوة، فأجاب مروان إلى ذلك، وكتب لهم بيده كتابا يؤمنهم على جميع ما أحدثوه. وكان دخول مروان بن الحكم الفسطاط لغرة جمادى الأولى سنة 65 هـ، فكانت مدة مقام ابن جحدم واليا من يوم دخلها إلى يوم دخول مروان بن الحكم تسعة أشهر. انظر الكندي، الولاة والقضاة، ص 41–45.

[37] للمزيد عن طبيعة ولاية مصر في فجر الإسلام انظر سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 20–36. انظر أيضا

K.M. Younes, "New Governors Identified in Arabic Papyri", in M. Legendre, A. Delattre and P.M. Sijpesteijn (eds.), *Authority and Control in the Countryside: From Antiquity to Islam in the Mediterranean and Near East (6th-10th Century)*, *Leiden Studies in Islam and Society* 9, Leiden: Brill, 2019, 13-43, at pp. 13-14; H. Kennedy, "Egypt as a Province in the Islamic Caliphate, 641–868", in C. Petry (ed.), *The Cambridge History of Egypt: Islamic Egypt 640-1517*, Cambridge: Cambridge University Press, 1998, 62–85, at pp. 65-69.

واجعل وجهك طلقا تصف لك مودتهم، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عينا لك على غيره، وينقاد قومه إليك، وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا، وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا ومشيرا، وما عليك يا بني أن تكون أميرا بأقصى الأرض، أليس ذلك أحسن من إغلاق بابك وخمولك في منزلك".[38] ثم أوصاه أيضا عند خروجه من مصر إلى الشام، قائلا: "أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيتك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا، فإن المؤذنين يدعون إلى فريضة افترضها الله عليك (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَت عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا)[39]، وأوصيك ألا تعد الناس موعدا إلا انفذته، وإن حُملت على الأسنة، وأوصيك ألا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير، فإن الله عز وجل لو أغنى أحدا عن ذلك لأغنى نبيه محمدا ﷺ عن ذلك بالوحي الذي يأتيه، قال الله عز وجل: (وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ)[40]".[41]

وقد أورد ابن عبد ربه (ت 328 هـ) نصا آخر لوصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز عند خروجه إلى الشام، قال له: "أيْ بُنّي، انظر إلى عمالك فإن كان لهم عندك حقٌّ غُنْقٌ فلا تؤخرهم إلى عشية، وإن كان لهم حق عشية فلا تؤخرهم إلى غُنْقٍ ، وأعطهم حقوقهم عند محلها، تستوجب بذلك الطاعة منهم، وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يستبن لك فاكتب إلي يأتك رأيي فيه إن شاء الله تعالى. وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك، فلا تؤاخذه به عند سَوْرة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفئ الجمرة، فإن أول من جعل السجن كان حليمًا ذا أناة. ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة، فليكونوا أصحابك وجلساءك، ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم، على غير استرسال ولا انقباض، أقول هذا وأستخلف الله عليك".[42]

وقد وَلِي عبد العزيز بن مروان مصر لهلال رجب سنة خمس وستين هجرية على صلاتها وخراجها، ثم تُوُفّي أبوه الخليفة مروان بن الحكم لهلال رمضان في السنة نفسها، فلما بُويع عبد الملك بن مروان بالخلافة أقر أخاه عبد العزيز عليها حتى وفاته (12 جمادى الأولى 86 هـ/11 مايو 705 م)، فكانت ولاية عبد العزيز على مصر عشرين سنة وعشرة أَشْهُر وثلاثة عشر يوما بالتمام والكمال.[43]

قام عبد العزيز بن مروان بالعديد من الإنشاءات والإصلاحات السياسية والإدارية والمالية والعسكرية والقضائية والدينية في أثناء فترة ولايته على مصر، نخص منها ما كان من أعماله الدينية، والتي لها علاقة مباشرة

[38] الكندي، الولاة والقضاة، ص 47؛ المقريزي، الخطط، ج 1، ص 570.

[39] سورة النساء، آية 103.

[40] سورة آل عمران، آية 159.

[41] الكندي، الولاة والقضاة، ص 47–48؛ المقريزي، الخطط، ج 1، ص 570.

[42] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1، ص 40–41.

[43] الكندي، الولاة والقضاة، ص 48؛ المقريزي، الخطط، ج 2، ص 48؛ القضاعي، تاريخ القضاعي، ص 348–349.

بموضوع بحثنا. في سنة 76 هـ، أمر عبد العزيز بن مروان بكتابة مصحف لأهل مصر[44]، وكان هذا المصحف – والذي عُرِف لاحقا بمصحف أسماء[45] – أول مصحف إمام لأهل مصر، إذ أن مصر لم يكن لها نصيب من المصاحف العثمانية الأئمة التي أرسلها الخليفة الراشد عثمان بن عفان إلى الأمصار.[46] وقد تناقل ورثة عبد العزيز بن مروان هذا المصحف فيما بينهم – شراء لا توارثا [47]– حتى أوقفه الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز (حفيد عبد العزيز) في جامع عمرو سنة 118 هـ، وأجرى على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر، وكان ذلك بمشورة القاضي تَوْبَة بن نَمِر الحضرمي (ت 120 هـ). وقد ظل هذا المصحف قائما في جامع عمرو بن العاص يُقرأ فيه لمدة ثلاثة أيام أسبوعيا حتى مطلع القرن الخامس الهجري.[48]

وفي السنة التالية، سنة 77 هـ، أمر عبد العزيز بن مروان بهدم مسجد مصر الجامع (جامع عمرو بن العاص)، وأعاد بناءه بعدما زاد فيه من جوانبه كلها[49]، فكانت هذه الزيادة هي الزيادة الثانية لجامع عمرو بن العاص بعد الزيادة التي زادها الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري سنة 53 هـ.[50]

[44] ذكر بعض المؤرخين قصة كتابة هذا المصحف الشهير وذكروا "أن الحجاج بن يوسف الثقفي كتب مصاحف وبعث بها إلى الأمصار، ووجه بمصحف منها إلى مصر، فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك، وقال: يبعث إلى جند أنا به بمصحف، فأمر فكُتب له هذا المصحف الذي في المسجد الجامع، فلما فرغ منه، قال: من وجد فيه حرف خطأ، فله رأس أحمر وثلاثون دينارا، فتداوله القراء، فأتى رجل من أهل الحمراء، فنظر فيه، ثم جاء إلى عبد العزيز، فقال: قد وجدت في المصحف حرف خطأ، قال عبد العزيز: مصحفي؟! قال الرجل: نعم، فنظروا، فإذا فيه: (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة)، فإذا هي مكتوبة (نجعة)، قد قدمت الجيم قبل العين، فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه، ثم أمر له بثلاثين دينارا ورأس أحمر، ثم توفي عبد العزيز، فاشتراه في ميراثه أبو بكر بن عبد العزيز بألف دينار، ثم توفي أبو بكر، فبيع في ميراثه، فاشترته أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بسبعمائة دينار، فأمكنت منه الناس وشهرته فَذُسِبَ إليها، ثم توفيت أسماء، فاشتراه الحكم بن أبي بكر فجعله في المسجد وأجرى على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من كراء الإصطبل". انظر ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 85–86؛ ابن دقماق، الانتصار، القسم الأول، ص 72؛ المقريزي، الخطط، ج 4، ص 30–31؛ علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، 6 مجلدات، القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، 1306 هـ، ج 4، ص 6. انظر أيضا عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، 20 هـ–358 هـ، القاهرة: دار المعارف، 1970، ص 62–73.

[45] هي أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز، حفيدة عبد العزيز بن مروان. اشترت المصحف من تركة أبيها (أبي بكر بن عبد العزيز، ت 96 هـ) بسبعمائة دينار، وكان هو قد اشتراه من تركة أبيه (عبد العزيز) بألف دينار. والذي يظهر أن أسماء ابنة أبي بكر ماتت حوالي سنة 118 هـ، لأن أخاها الحكم بن أبي بكر اشترى المصحف من تركتها بخمسمائة دينار وأقره بجامع عمرو في السنة نفسها. انظر المراجع في الحاشية السابقة. انظر أيضا عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، ص 66.

[46] عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، ص 62، 73.

[47] انظر النص المذكور في حاشية رقم 43.

[48] انظر المراجع في حاشية رقم 43. انظر أيضا عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، ص 66.

[49] الكندي، الولاة والقضاة، ص 51.

وقد حفظ لنا البردي العربي – حتى الآن – خمس وثائق مهمة من فترة ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر، جميعها أوامر دفع (*entagia*)[51] صادرة باسمه إلى أهل بعض قرى كور[52] مصر (أشمون، الفيوم، أنصنى، إهناس) لدفع بعض المستحقات الضريبية الواجبة عليهم، وهي مؤرخة بين سنوات 72–76 هـ.[53] وأهم ما يمكن ملاحظته من هذه البرديات جميعا – وليس هنا مقام الخوض في محتواها – الصيغة الثابتة للتعريف بعبد العزيز بن مروان، فدائما وأبدا ما يُعَّرف هذا الوالي بخلاف جميع ولاة مصر السابقين منهم واللاحقين على النحو التالي: **عبد العزيز بن مروان الأمير**، أي بتقديم الاسم وتأخير اللقب.[54] وفيما يبدو أن هذه الصيغة الفريدة فيها تخصيص وتمييز لإمارة عبد العزيز كولي للعهد (crown prince)، وهذا بخلاف معنى الإمارة المطلق الذي يُطلق على عامة الولاة وأصحاب الخراج وأصحاب الشرطة وغيرهم من قادة الجند، والتي عادة ما يرد ذكر لقب الأمير قبل أسمائهم. والظاهر أن هذه الصيغة كُتبت بأمر من الوالي عبد العزيز بن مروان نفسه في نموذج (template) تم تعميمه على عامة دواوين مصر شمالا وجنوبا ليكون دليلا ومرجعا معتمدا لكُتَّاب الدواوين عند إصدار الوثائق الرسمية/الديوانية التي تتضمن اسم الوالي ولقبه. وبناء عليه، يمكن الجزم بأن أية وثيقة إدارية صادرة من الديوان باسم الوالي عبد العزيز بن مروان لابد وأن تنحو الصيغة نفسها بلا اختلاف.

---

[50] انظر ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 93؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 38؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 240؛ المقريزي، الخطط، ج 4، ص 13.

[51] هذه الوثائق عادة ما تكون صادرة باسم الوالي أو صاحب الخراج إلى أهل القرى، وهي عادة ما تشمل أمر بدفع مستحقات ضريبية، توريد بعض الإمدادات للجيش/الأسطول، بالإضافة إلى القيام ببعض الأعمال لصالح الدولة (الالتزامات/الليتورجيا Leiturgia). للمزيد عن وثائق الـ (*entagia*) في العصر الإسلامي انظر

H.I. Bell, "The Arabic Bilingual Entagion," *Proceedings of the American Philosophical Society* 89/3 (1945), pp. 531-542.

[52] الكور جمع كورة، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (χώρα)، وهي تشير إلى وحدة إدارية أشبه ما تكون بالمحافظة اليوم، والقائم عليها يُعرف بصاحب الكورة، هو مسئول عن جميع شؤونها الإدارية والمالية. ومعلوم أن مصر كانت مقسمة إداريا إلى قسمين رئيسيين بعد فتحها الإسلامي، هما: الصعيد (مصر العليا)، وأسفل الأرض (الدلتا)، وكان لكل قسم منهما ديوانه الخاص الذي يتبع الديوان العام بالعاصمة الفسطاط. وكان هذان القسمان مقسمين إلى كور، وهذه الكور مقسمة بدورها إلى قرى. انظر سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص 28–29. انظر أيضا

P.Khalili I, pp. 65-66; A. Grohmann, *Studien zur historischen Geographie und Verwaltung des mittelalterlichen Aegypten*, Vienna, 1959, p. 34.

[53] P.DiemFrueheUrkunden 1 [= P.Alqab 3 = PERF 583r], provenance Fayyūm; P.DiemFrueheUrkunden 2 [= P.Alqab 2 = PERF 582r], provenance unknown; P.DelattreEntagion 2, dated 74/694, provenance Anṣinā; P.Gascou 27 b, provenance al-Ušmūnayn; P.MerxDocuments p. 55 [= P.KarabacekBemerkungenMerx], provenance Fayyūm.

[54] انظر اللوحات 1، 2.

هذا هو إذا عبد العزيز بن مروان الأمير الأموي، المدني المولد والنشأة، ولي عهد الخلافة وأمير مصر وصاحب خراجها، الذي نشأت في ولايته ظاهرة التعريف بجامع مصر العتيق سنة 71 هـ. **فما هو التعريف وكيف وأين نشأ وما سبب نشأته في مصر؟**

التَّعريف

ذكر الإمام الحافظ أبو شامة المقدسي (ت 665 هـ) في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) أن التعريف هو "اجتماع الناس عشية يوم عرفة في غير عرفة، يفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء، وهذا أُحدِث قديما، واشتهر في الآفاق شرقا وغربا، واستفحل أمره ببيت المقدس، وخرج الأمر فيه إلى ما لا يحل اعتقاده".[55]

وقد عَدَّ أبو شامة التعريف ضمن ثلاثة بدع اشتهرت في بلاد الإسلام في زمانه، وهي: التعريف وصلاة الرغائب والألفية. فأما التعريف فقد ذكرناه لتونا، وأما صلاة الرغائب فهي صلاة تُصَلَّى ليلة أول جمعة من شهر رجب بين المغرب والعشاء، وهي اثنتي عشرة ركعة بست تسليمات، يُقرأ في كل ركعة منها بفاتحة الكتاب مرة، وسورة القدر ثلاث مرات، وسورة الإخلاص اثني عشرة مرة، وبعد الفراغ منها يُصَلّي المُصلي على النبي ﷺ سبعين مرة، بالصيغة التالية: "اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد، فيقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبعين مرة، ثم يرفع رأسه، فيقول: اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الأعظم، سبعين مرة، ثم يسجد الثانية، فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله حاجته، فإنها تُقْضَى".[56] وأما الألفية فهي صلاة ليلة النصف من شعبان، سُميت بذلك لأنه يُقرأ فيها سورة الإخلاص ألف مرة، وهي عبارة عن مائة ركعة، كل ركعتين بتسليمة، يُقرأ في كل ركعة منها سورة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص عشر مرات.[57]

[55] أبو شامة المقدسي، الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد، القاهرة: مكتبة مجد الإسلام، الطبعة الأولى، 2007، ص 110. انظر أيضا الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد زكي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1990، ص 257.

[56] أبو شامة المقدسي، الباعث، ص 129–156؛ القاري، الأدب في رجب، تحقيق: مشهور حسن سلمان، بيروت/دمشق/عمان: المكتب الإسلامي/دار عمار، الطبعة الأولى، 1991، ص 42–44؛ ابن حجر، تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله الدرعمي، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت.، ص 52–55. وللمزيد عن صلاة الرغائب انظر عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000، ص 240–267.

[57] أبو شامة المقدسي، الباعث، ص 116–128. وللمزيد عن صلاة الألفية انظر عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، ص 299–304.

أما ما يخص التعريف، فإن الروايات التاريخية وخاصة أخبار الأوائل[58] تنسب نشأة التعريف بالمساجد مطلقا إلى الصحابي عبد الله بن عباس (ت 68 هـ)، حيث ورد أنه هو أول من جمع الناس وعَرَّف بهم في مسجد البصرة أثناء ولايته على البصرة (36–40 هـ) في خلافة علي بن أبي طالب (ولي الخلافة: 35–40 هـ)، قال للناس: "هذا يوم عرفة، فهلموا نجتمع فيه، فندعو الله، لعل دعاءنا يوافق دعاءهم، فتنزل الإجابة، فنشركهم فيها"، وكان يصعد المنبر من بعد العصر إلى الغروب، فيفسر شيئا من القرآن (سورتي البقرة وآل عمران، فسرهما حرفا حرفا)ويذكر الناس، ويعظهم، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب. وقد تبعه في ذلك الإمام الحسن البصري (ت 110 هـ)؛ كان يخرج من المقصورة بعد صلاة العصر، فيجلس فيدعو ويذكر الله وحوله الناس. وقد ورد أيضا أن مصعب بن الزبير (ت 72 هـ) هو أول من عَرَّف بالكوفة أثناء ولايته على العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير (ت 73 هـ).[59]

وقد اختلف علماء المسلمين الأوائل في حكم التعريف في المساجد يوم عرفة، فمنهم من ذهب إلى جوازه كأحمد بن حنبل مستندا إلى فعل عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة والتابعين، ومنهم من ذهب إلى كراهته، كمالك ونافع وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري لعدم ثبوته عن النبي وسائر الصحابة، ولأنه يندرج تحت البدع المحدثة في الدين.[60]

التَّعريف بمصر

أما عن التعريف بمصر خاصة، فقد وردت فيه غير رواية، أولها وأهمها رواية الكندي التي تناقلها جميع المؤرخين اللاحقين. ذكر الكندي عن شيخه ابن قُدَيْد (ت 312 هـ) قوله: "وعَرَّف عبد العزيز بن مروان بمصر، وهو أول من عَرَّف بها في سنة إحدى وسبعين"، ثم ألحق الكندي هذا الخبر برواية من طريق ابن بكير عن ابن لهيعة (ت 174 هـ) عن يزيد بن أبي حبيب (ت 128 هـ) أنه قال: "إن أول من أحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر عبد

[58] أخبار الأوائل هي أخبار تتضمن أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب، ومثال ذلك: أول من فعل كذا، أول من قال كذا ...إلخ. انظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جزءان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.، ج 1، ص 199–200.

[59] العسكري، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1981، ص 209؛ أبو شامة المقدسي، الباعث، ص 113–115؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 97–98؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، 53 جزءا، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1990، ج 5، ص 159؛ ابن أبي شيبة، المصنف، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 2004، ص 406–408؛ عبد الرزاق، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، 11 جزءا، بيروت: المجلس العلمي، الطبعة الأولى، 1970، ج 4، ص 375–379. انظر أيضا

A. Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock: A Further Examination of the Muslim Sources", *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 35 (2008): 167-226, at pp. 171-173.

[60] انظر عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، ص 364–374. انظر أيضا

Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", pp. 176-177.

العزيز بن مروان".[61] وقد نقل القضاعي (ت 454 هـ) هذا الخبر عن الكندي بسنده، قال: "وذكر أبو عمر الكندي أن عبد العزيز بن مروان أول من سَنَّ التعريف بمصر في المسجد الجامع بعد العصر".[62] أما المقريزي فقد نقل هذا الخبر دون أن يعزوه إلى مصدره (الكندي)، قال: "وعبد العزيز أول من عرف بمصر سنة إحدى وسبعين، قال يزيد بن أبي حبيب: أول من أحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان".[63]

هذه الروايات جميعا تظهر اتفاقا على أن عبد العزيز بن مروان هو أول من أحدث التعريف بمصر وتحديدا سنة إحدى وسبعين هجرية. وهنا يتوارد إلى الذهن سؤالان مهمان، هما: **ما سبب نشأة ظاهرة التعريف في مسجد مصر الجامع (جامع عمرو بن العاص) في إمارة عبد العزيز بن مروان؟ وهل كان هذا التعريف "المصري" تقليدا للتعريف الذي عرفته مساجد البصرة والكوفة من قبل، أم أن الأمر كان له بعد سياسي آخر يتعلق بالأحداث السياسية التي كادت تعصف بالخلافة الإسلامية آنذاك؛ الصراع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، والذي انتهى بمقتل ابن الزبير سنة 73 هـ؟**

نجد في كتابات بعض المستشرقين – القدامى والمعاصرين – تفسيرا واحدا لنشأة مثل تلك الظواهر والأحداث في الفترة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، وهو – من وجهة نظرهم – عدم اكتمال شرائع الإسلام وأحكامه على النحو الذي عُرفت به واستقرت عليه لاحقا. ومن ثم، كان للصراعات السياسية الإسلامية المبكرة دور جوهري في تشكيل وبلورة تلك الشرائع والأحكام، وهو ما ينطبق بالأساس على فترة الصراع بين الأمويين وعبد الله بن الزبير (63–73 هـ)، وما تلاه من أحداث وسياسات أدت في النهاية إلى بناء الشخصية الإسلامية للدولة العربية الوليدة. ومثال ذلك، بناء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبة الصخرة بالقدس، ونشأة التعريف في مصر والقدس وغيرهما من الأمصار التابعة لسلطان بني أمية. هذان الحدثان في رأي بعض المستشرقين دليل دامغ على رغبة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في تحويل القدس إلى قبلة بديلة للمسلمين عوضا عن الكعبة التي كانت في قبضة ابن الزبير آنذاك. وأشّد من ذلك، افتراء بعض المستشرقين بانعدام الإجماع على أصول الدين فيما يخص العبادات من حج وصلاة وغيرهما.[64]

[61] الكندي، الولاة والقضاة، ص 50.

[62] القضاعي، تاريخ القضاعي، ص 338.

[63] المقريزي، الخطط، ج 1، ص 570. انظر أيضا

Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", pp. 173-174.

[64] "In the Umayyad period, basic religious rituals, beliefs and institutions had not yet fully developed, and ignorance regarding such issues prevailed." Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", p. 192. See also G.R. Hawting, *The First Dynasty of Islam. The Umayyad Caliphate AD 661–750*, London: Croom Helm, 1986, pp. 5-6, 61; C.F. Robinson, *'Abd al-Malik*, Oxford: One World Publications, 2005, pp. 90-104.

وقد ذهب االمستشرقون في تأويلهم لبناء قبة الصخرة مذاهب شتى، فمنهم من رأى في بنائها رسالة دينية وسياسية لغير المسلمين، وخاصة المسيحيين، وذلك لاثبات وحدانية الإله، والنبوة المحمدية، ونبوة المسيح، في مقابل اعتقاد اللاهوت الثالوثي المسيحي، وأن الخليفة عبد الملك إنما أراد ببنائها أن تكون رمزا لنصرة الإسلام على الديانات والأمم السابقة.[65] ومنهم من رأى في بنائها – استنادا إلى محتوى النقوش داخل القبة وخارجها[66] –رغبة أخروية بـ ُغيتها نيل الشفاعة المحمدية ونجاة أمة الإسلام في اليوم الآخر.[67] ومنهم من رأى في بنائها الأمرين معا: السياسي الدنيوي والديني الأخروي.[68] ومنهم أيضا من رأى أن بناء قبة السلسلة وقبة الصخرة كانت غايته تحويل القدس لمجمع ديني مقدس انطلاقا من كونها موطن العدالة الإلهية على الأرض متمثلة في مملكة وشخصية النبي الملك داود وولده النبي والملك سليمان، واعتزازا بمكانتها كأرض المحشر يوم القيامة ومكانا لشفاعة النبي محمد، وذلك لجعلها منافسا لمكة والبيت الحرام اللذين كانا تحت سلطان ابن الزبير.[69]

[65] O. Grabar, "The Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem", *Ars Orientalis* 3 (1959): 33-62, at pp. 58-59; O. Grabar, *La formation de l'art islamique*, Paris, 1987, pp. 72-92.

[66] M. Tillier, "'Abd al-Malik, Muḥammad et le Jugement dernier: le dôme du Rocher comme expression d'une orthodoxie islamique", in *Les vivants et les morts dans les sociétés médiévales. Actes du XLVIIIe Congrès de la SHMESP* (Jérusalem, 2017), Paris, Éditions de la Sorbonne, 2018, 341-365, at pp. 343-350. See also M. Van Berchem, *Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicum. Deuxième partie: Syrie du sud. Tome deuxième: Jérusalem «Ḥaram»*, Cairo, 1927, pp. 248-250; C. Kessler, "'Abd al-Malik's Inscription in the Dome of the Rock: A Reconsideration", *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* 1 (1970): 2-14, at pp. 4-9.

[67] Tillier, "'Abd al-Malik, Muḥammad et le Jugement dernier", pp. 350-352; M. Rosen-Ayalon, "The Early Islamic Monuments of al-Ḥaram al-Sharīf: An Iconographic Study", *Jérusalem* 28 (1989): i-xvi, 1-73, at pp. 60-69. See also O. Grabar, *The Dome of the Rock*, Cambridge, 2006, pp. 117-119; G. Necipoğlu, "The Dome of the Rock as Palimpsest: 'Abd al-Malik's Grand Narrative and Sultan Süleyman's Glosses", *Muqarnas* 25 (2008): 17-105; Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", pp. 182, 211.

[68] R. Shani, "The Iconography of the Dome of the Rock", *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 23 (1999): 158-207; Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", pp. 182, 211.

[69] Tillier, "'Abd al-Malik, Muḥammad et le Jugement dernier", pp. 359-361, 363-365. See also J. Van Ess, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock. An Analysis of some Texts", in J. Raby and J. Johns (eds.), *Bayt al-Maqdis*: *'Abd al-Malik's Jerusalem*, Oxford, 1992, 89-103, at pp. 92-100; Grabar, *The Dome of the Rock*, pp. 117-119; Necipoğlu "The Dome of the Rock as Palimpsest", pp. 54, 79; P. Soucek, "The Temple of Solomon in Islamic Legend and Art", in J. Gutmann (ed.), *The Temple of Solomon*, Missoula: Scholars Press, 1975, 73-123; Shani, "The Iconography of the Dome of the Rock", pp. 166-176; A. Elad, "Why did 'Abd al-Malik build the Dome of the Rock? A Re-examination of the Muslim Sources", in J. Raby and J. Johns (eds.), *Bayt al-Maqdis: 'Abd al-Malik's Jerusalem*, Oxford, 1992, 33-58, at pp. 48-49; Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", pp. 179-183, 211; P. Crone and M. Hinds, *God's Caliph: Religious Authority in the First Centuries of Islam*, Cambridge: Cambridge University Press, 1986, p. 44.

انظر أيضا

A. Kaplony, *The Ḥaram of Jerusalem, 324-1099: Temple, Friday Mosque, Area of Spiritual Power*, Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 2002; S. Blair, "What is the Date of the Dome of the Rock?", in J. Raby and J. Johns (eds.), *Bayt al-Maqdis*: *'Abd al-Malik's Jerusalem*, Oxford, 1992, 59-88; N.N.N. Khoury, "The Dome of the Rock, the Kaʿba, and Ghumdan: Arab Myths and Umayyad Monuments", *Muqarnas*

وقبل أن نعرض لكتابات بعض هؤلاء المستشرقين، وخاصة لمن تَعرَّض منهم لمسألة التعريف، لزم أولا عرض الروايات التاريخية التي اعتمد عليها بعضهم لنبين سوء استنباطهم. فمن أهم الروايات التي تتحدث عن السبب السياسي لنشأة التعريف في مصر والقدس وغيرهما من الأمصار رواية القضاعي، وهي الرواية التي تناقلها سبط ابن الجوزي (ت 654 هـ) وابن كثير (ت 774 هـ) مع بعض الإضافات دون سند أو إحالة، قال: "ولم يزل [عبد الله بن الزبير] يقيم للناس الحج من سنة أربع وستين إلى سنة اثنتين وسبعين، فلما ولي عبد الملك منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير، لأنه كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا. فضج الناس لّما مُنعوا الحج، فبنى عبد الملك قبة الصخرة [ليشغلهم بذلك عن الحج،[70] ويستعطف قلوبهم[71]]، وكان الناس يحضرونها يوم عرفة، ويقفون عندها، [ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يوم العيد،[72] ويحلقون رؤوسهم[73]]. وُيقال أن ذلك كان سبب التعريف في مسجد بيت المقدس ومساجد الأمصار. وذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن أن أول من سنّ التعريف في مساجد الأمصار عبد الله بن عباس. وذكر أبو عمر الكندي أن عبد العزيز بن مروان أول من سنّ التعريف بمصر في المسجد الجامع بعد العصر".[74]

وعند ابن تغري بردي (ت 874 هـ) في النجوم الزاهرة في أحداث السنة السادسة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر (أي سنة 71 هـ) ما يلي: "فيها حج أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وعَوَّف بمصر عبد العزيز بن مروان، وهو أول من عَرَّف بها، فقام من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وعَوَّف بمصر".[75] وهنا يظهر ابن تغري بردي ارتباطا وثيقا بين حج ابن الزبير بمكة وتعريف عبد العزيز بن مروان بمصر **بأمر من أخيه الخليفة عبد الملك**. وفي أحداث السنة التالية (72 هـ)، قال ابن تغري بردي: "فيها بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة بالقدس والجامع الأقصى، وقد ذكرناه في الماضية والأصح أنه في هذه السنة، وسبب بناء عبد الملك أن عبد الله بن الزبير لما دعا لنفسه بمكة، فكان يخطب في أيام منى وعرفة، وينال من عبد الملك ويذكر مثالب بني أمية، ويذكر أن جده الحكم كان طريد رسول الله ﷺ ولعينه، فمال أكثر أهل الشام إلى ابن الزبير، فمنع عبد الملك الناس من الحج، فضجوا، فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة، فصاروا يطوفون حول

10 (1993): 57-65; N. Rabbat, "The Dome of the Rock Revisited: Some Remarks on al-Wasiti's Accounts", *Muqarnas* 10 (1993): 66-75; N. Rabbat, "The Meaning of the Umayyad Dome of the Rock", *Muqarnas* 6 (1989): 12-21.

[70] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، 22 جزءا، بيروت: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 2013، ج 9، ص 40.

[71] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 41.

[72] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 9، ص 40.

[73] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 41.

[74] القضاعي، تاريخ القضاعي، ص 337. انظر أيضا ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 41.

[75] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 240.

الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم، وصار أخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يُعَرِّف بالناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة".[76]

أما اليعقوبي فلم يخبرنا شيئا عن التعريف، ولكنه أرجع منع أهل الشام من الحج وبناء مسجد قبة الصخرة للسبب نفسه (صراع عبد الملك وابن الزبير على السلطة)، قال: "ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس، وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا، فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يُروى أن رسول الله وضع قدمه عليها، لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية".[77]

يوُعد المؤرخ القبطي الفسطاطي سعيد بن البطريق (Eutychius) (ت 328 هـ) من أقدم المؤرخين المصريين الذين تحدثوا عن منع عبد الملك بن مروان الحج إلى مكة، وأخذه الناس بالحج إلى بيت المقدس بسبب عبد الله بن الزبير.[78]

هذه الروايات وخاصة رواية اليعقوبي شكلت القاعدة التي بنى عليها بعض المستشرقين الأوائل، وعلى رأسهم جولدتسيهر (Ignaz Goldziher, 1805-1921)، نظريتهم التي تقول بأن بني أمية، والمروانين منهم خاصة، إنما أخذوا الفقهاء والمُحَدِّثين الأوائل، كالزهري (ت 124 هـ)، بوضع (اختلاق) الأحاديث النبوية بما يتوافق وأهوائهم الدينية والسياسية. ولمَّا كان الزهري صديقا مقربا من عبد الملك بن مروان فقد وضع له حديث (لا تُشَدُّ الرحال)[79]، وعدد من الأحاديث الخاصة بفضائل بيت المقدس ليدعم خطة عبد الملك في إيجاد قبلة بديلة للمسلمين عوضا عن الكعبة التي كانت في قبضة ابن الزبير.[80] لكن هذه النظرية لم تجد في البداية قبولا واسعا حتى بين أوساط المستشرقين أنفسهم، فخرج منهم من يفند تلك النظرية ويبين عوارها، وكان على رأسهم جوتين (Shelomo Dov Goitein (1900-1985)، وقد تبعه في ذلك العديد من المستشرقين والمؤرخين المعاصرين.[81] ولكن المستشرق

[76] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 242.

[77] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 261.

[78] سعيد بن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1905، ص 39.

[79] البخاري، صحيح البخاري، دمشق/بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى، 2002، ص 287، حديث (1189)؛ مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006، ص 628، حديث (1397).

[80] I. Goldziher, *Muslim Studies* (*Muhammedanische Studien*), ed. S.M. Stern and trans. C.R. Barber and S.M. Stern, 2 vols., Chicago: Aldine Publishing 1971, vol. 2, pp. 44-46.

[81] S.D. Goitein, "The Sanctity of Jerusalem and Palestine in Early Islam", in *Studies in Islamic History and Institutions*, Leiden: Brill, 1966, 135–148, at p. 147.

المعاصر (Amikam Elad) عاد ليدعم نظرية جولدتسيهر ويدحض رأي جوتين استنادا إلى الروايات التاريخية السابقة، والتي زعم (Elad) أن جوتين لم يكن على اطلاع واسع بها.[82]

وبعيدا عن فرية اختلاق الأحاديث، والتي كفاناها بعض أهل الحديث،[83] تظهر الروايات جميعا ارتباطا وثيقا بين منع الحج من جهة ونشأة التعريف وبناء قبة الصخرة من جهة أخرى. فبحسب الروايات السابقة، منع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أهل الشام من الذهاب للحج مخافة مبايعتهم لابن الزبير في الموسم. والظاهر أن هذا المنع لم يقتصر على الشام وأهلها فقط، وإنما امتد إلى باقي الأمصار التابعة لسلطان بني أمية، ومنها مصر، التي يحكمها أموي آخر، هو عبد العزيز بن مروان، أخو الخليفة وولي عهده. ولكن منع الناس من قضاء فريضة الحج لم يكن ليمر دون امتعاض واستنكار البعض، وربما معارضة ومقاومة آخرين، فابتدر عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة ببيت المقدس، كما أنه أمر ولاته في الأمصار بالتعريف في مساجدهم الجامعة عشية يوم عرفة ليشغلهم بذلك عن الحج إلى مكة حتى انتهاء الفتنة. وقد كان لعبد الملك ما أراد سنة 73 هـ، إذ انتصر على خصمه ابن الزبير، وصار خليفة المسلمين الأوحد.

ولكن الروايات لا تذكر على وجه الدقة متى كتب الخليفة الأموي إلى ولاته بمنع خروج الناس إلى الحج. ففي حين تُعّوض رواية القضاعي بأن ذلك كان مع بداية ولايته الخلافة، قال: "**فلما ولي عبد الملك** [أي سنة 65 هـ] منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير، لأنه كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا"، يذكر الطبري (ت 310 هـ) وغيره أنه في سنة 68 هـ "وقفت بعرفات أربعة ألوية: ابن الحنفية في أصحابه في لواء قام عند جبل المشاة، وابن الزبير في لواء، فقام مقام الإمام اليوم، ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حِذَاء ابن الزبير، ونجدة الحَروري خلفهما، ولواء بني أمية عن يسارهما، فكان أول لواء انفض لواء محمد بن الحنفية، ثم تبعه نجدة، ثم لواء بني أمية، ثم لواء ابن الزبير، واتبعه الناس".[84] وطبقا لهذه الرواية، كان لواء بني أمية حاضرا في موسم الحج سنة 68 هـ. وهو ما حاول (Elad) أن يجد له تبريرا، فزعم أن اللواء الأموي المذكور ربما كان يضم أنصار بني أمية من أهل الحجاز فقط، ودليله على ذلك أن لواء بني أمية هو الوحيد من بين الألوية الأربعة الذي لم يُعرف قائده.[85] ولكن هذا التبرير الواهي لا يعدو كونه ظنا فاسدا لا تصح به حجة ولا يقام به برهان، لأن الرواية تتحدث عن ألوية وليس عن مجموعة من الأنصار، ولا تكون الألوية إلا في بعوث رسمية – كما هو الحال في الألوية الثلاثة الأخر –، ولا يكون بعث رسمي

[82] A. Elad, *Medieval Jerusalem and Islamic Worship: Holy Places, Ceremonies, Pilgrimage*, Leiden: Brill, 1995, p. 159; Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", p. 168.

[83] انظر مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي/دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000، ص 213–263؛ محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1988، ص 501–515.

[84] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 6، ص 138؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 263؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 85.

[85] Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", pp. 189-190.

أموي إلا من دمشق، عاصمة الأمويين. فليس من المعقول أن أنصار بني أمية من الحجازيين هم من تطوعوا من تلقاء أنفسهم بحمل لواء بني أمية في موسم الحج.

ومما يؤكد لنا أن لواء بني أمية هو بعث رسمي وليس مجموعة من الأنصار الحجازيين كما ادعى (Elad)، ما جاء في رواية ابن سعد (ت 230 هـ) في الطبقات الكبير، قال: "ووقفت في هذه السنة [أي سنة 68 هـ] أربعة ألوية بعرفة: محمد بن الحنفية في أصحابه على لواء، قام عند جبل المشاة، وحج ابن الزبير في أصحابه معه لواء، فقام مقام الإمام اليوم، ثم تقدم محمد بن الحنفية بأصحابه حتى وقف حذاء ابن الزبير، ووافى نجدة الحروري في أصحابه ومعه لواء فوقف خلفهما، **ووافت بني أمية ومعهم لواء فوقفوا عن يسارهما**، فكان أول لواء انفض لواء محمد بن الحنفية، ثم تبعه نجدة، ثم لواء بني أمية، ثم لواء ابن الزبير واتبعه الناس".[86] هذه الرواية تفيد صراحة بوفود لواء أموي رسمي، أسوة ببقية الوفود الأخرى. وليس أدل على ذلك أيضا من الزيادة التي جاءت عند اليعقوبي، قال: "وتشعبوا شعبا، **فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين**".[87] ومعنى قول اليعقوبي أن كل فرقة من هذه الفرق الأربعة تتبع أميرا للمؤمنين بخلاف الأخرى.

أما فيما يخص عدم ذكر قائد اللواء الأموي، فذلك لأنه لم يكن رأس القوم (عبد الملك نفسه)، كحال بقية الألوية: ابن الزبير في أصحابه، ابن الحنفية في أصحابه (الشيعة)، ونجدة الحروري في أصحابه (الحرورية/الخوارج). فلما لم يكن عبد الملك حاضرا بنفسه كأنداده – ولكنه حاضرا بصفته كأمير للمؤمنين –، لم يذكر المؤرخون اسم أمير البعث الأموي، واكتفوا بذكر اللواء فقط.

وإذا سلمنا جدلا بأن عبد الملك بن مروان كان قد اتخذ قراره بمنع الناس من الخروج إلى الحج، فالعقل والمنطق يقضيان – وهو ما تدعمه الروايات التاريخية أيضا – بأن يتزامن منع الحج مع نشأة التعريف بمصر، والذي نشأ باتفاق المؤرخين على يد عبد العزيز بن مروان سنة 71 هـ، وأيضا مع تمام بناء قبة الصخرة سنة 72 هـ. وإذا كان هذا الاستخلاص صائبا، فإن هاتين السنتين (71 و72 هـ) ستبرزان كتاريخ محتمل لذلك القرار، وليس قبل ذلك. ولكن، هل من المعقول أن يتخذ عبد الملك بن مروان قرارا كهذا في ظل استعلاء أمره وانتصاره على الزبيريين في العراق؟ لقد كان عبد الملك بن مروان قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر على ابن الزبير في مكة بعدما ضم العراق وقتل أميرها مصعب بن الزبير في جمادى الأولى سنة 72 هـ. ثم لم يتأخر الوقت حتى حقق عبد الملك انتصاره الأكبر بالقضاء على ابن الزبير نفسه بعد سنة واحدة فقط (جمادى الآخرة، 73 هـ). وإذا، لم يكن عبد الملك بن مروان في حاجة لمنع الناس من الخروج إلى الحج، لأنه كان قد وطد دعائم حكمه، وبدت له بشائر النصر على خصمه ابن الزبير. ولو كان عبد الملك بن مروان فاعلا، لكان أولى به فعل ذلك في سنوات خلافته الأولى، إذ لم تكن بيعته قد ثبتت، ولم يكن سلطانه قد استقر، وهو ما لم يحدث كما أثبتنا آنفا.

[86] ابن سعد، الطبقات الكبير، ج 7، ص 104.

[87] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 263.

ومن ناحية أخرى، فمن المعلوم لدى العامة والخاصة أن الحج وهو ركن أساسي من أركان الإسلام، إلا أنه مشروط بالاستطاعة، لقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا).[88] وشروط الاستطاعة تشمل الاستطاعة البدنية، وهي تشمل صحة البدن والقدرة على تحمل مشقة السفر؛ والاستطاعة المالية، وتشمل قدرة الحاج على تحمل كافة نفقات السفر ونفقات من تلزمه نفقته؛ والاستطاعة الأمنية، ويقصد بها أن يكون الطريق ميسرا مأمونا.[89]

أما الشرطان الأوليان (الاستطاعة البدنية والمالية)، فيتعلقان بالحاج نفسه، وأما الشرط الثالث فلا. فأمن الطريق وتمهيده، وتيسير أمور الحج، وتأمين سلامة الحجاج ذهابا وعودة يقع على عاتق السلطة وحدها سلما وحربا. ولا شك أن قدرة السلطة على تأمين الطرق في حالة الفتن والحروب والصراعات يفوق قدرتها في حالة السلم، لاسيما إذا كانت هذه الحروب داخلية بين أبناء الأمة الواحدة. فمما لا شك فيه أن فترتي الفتنة الأولى (35–41 هـ)، والفتنة الثانية (61–73 هـ) شكلتا تحديا كبيرا للسلطة الإسلامية في تأمين الطرق وإحكام السيطرة عليها، ومن ثم سقط شرعا شرط الاستطاعة الأمنية عند أهل الأمصار لقضاء فريضة الحج، إذ لا حيلة للناس في ذلك. وبناء عليه، لم يكن هناك حاجة للسلطة السياسية الأموية لاستصدار قرار ضرره الديني والسياسي أكثر من نفعه، إذ أن من المؤكد أن قرارا كهذا سيزيد من سخط الناس على بني أمية، ويدفعهم دفعا لنصرة ابن الزبير الذي شاع تمسكه بشرائع الإسلام واعتصامه ببيت الله الحرام واتباعه لسنة النبي ﷺ.

لقد كان الخليفة راعيا لكل شؤون الحج وما يدور في سلكه من الأمور، فإرسال قوافل الحج ومصاحبة ركب الحجاج، والصَّدّ عنهم في رحلتهم التي تنوشها المخاطر من كل جانب كان عاملا أساسيا في توطيد حكم الخلفاء، وترسيخ سلطتيهم الدينية والسياسية. ولذلك نجد أن أول ما فعله عبد الملك بن مروان بعد القضاء على ابن الزبير، وإعادة بناء الكعبة، وكانت قد هُدِمت أثناء اقتحام المدينة، أن خرج بالناس إلى الحج سنة 75 هـ،[90] لقضاء فريضة الحج أولا، ولترسيخ سلطتية الدينية والسياسية كخليفة أوحد للمسلمين ثانيا.

وعلى الصعيد المصري، لم تذكر لنا المصادر المحلية شيئا عن منع المصريين من الخروج إلى الحج أو عن أي ردة فعل من قبل المصريين على ذلك. فمما لا شك فيه أن قرارا كهذا لم يكن ليمر من دون ردة فعل، وهذا ما لم تكن لتغفل عنه المصادر أو تتجاهله بالكلية.

وخلاصة القول، ليس من المؤكد أن عبد الملك بن مروان أمر بمنع الناس من الخروج إلى الحج – حتى سنة 68 هـ على أقل تقديربل على العكس من ذلك كان يُسّير قوافل حج رسمية لترفع لواء بني أمية في الموسم في مقابل

[88] سورة آل عمران، آية 97.

[89] للمزيد انظر الموسوعة الفقهية، 45 جزءا، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة الثانية، 1983، ج 17، ص 28–35.

[90] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 6، ص 209؛ المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ص 57–58.

الألوية الأخرى. فموسم الحج كان يمثل مسرحا كبيرا ومهما للدعاية السياسية لجميع الفرق المتناحرة من زبيريين وشيعة وخوارج وأمويين، ولم يكن عبد الملك بحنكته السياسية المعروفة ليضيع على نفسه مثل تلك الفرصة. فلا شك أن غياب لواء بني أمية في موسم الحج (موسم الحشد الديني والسياسي والإعلامي) يضره أكثر مما ينفعه.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: **إن لم يكن منع الحج هو سبب التعريف في مصر فما سبب نشأته؟**

بحسب رواية الكندي– وهي الرواية الأقدم والأثبت –، نشأ التعريف في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط على يد عبد العزيز بن مروان سنة 71 هـ. هذه الرواية المقتضبة لم تذكر مطلقا أن نشأة التعريف بمصر كان بأمر من الخليفة عبد الملك، وهي الزيادة التي وردت عند ابن تغري بردي بعد قرون، ولكنه لم يذكر لها مصدرا، ومن ثم فلا تصح هذه الزيادة دليلا على "تسييس" التعريف المصري، وذلك لعدة أسباب منها: (1) جاءت نشأة التعريف المصري قبيل نهاية الصراع مع عبد الله بن الزبير (سنة 71 هـ)، وليس في بداية خلافة عبد الملك بن مروان كما هو متوقع؛ (2) لم تختلف طبيعة التعريف المصري كثيرا عن طبيعة التعريف البصري والكوفي، إذ أنه لم يتعد كونه اجتماع الإمام (عبد العزيز بن مروان) بالناس عشية يوم عرفة بالمسجد يفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء؛ (3) لم تذكر الروايات مطلقا استغلال التعريف استغلالا سياسيا للنيل من شخصية ابن الزبير وباقي الخصوم السياسيين لبني أمية، الأمر الذي ينفي الصبغة السياسية البحتة لنشأة التعريف بمصر. ولعل استمرار التعريف بجامع عمرو بن العاص على تلك الصورة التعبدية دليل على صبغته الدينية لا السياسية. فالتعريف بمصر لم يتوقف بمقتل ابن الزبير (73 هـ)، ولا بوفاة الوالي عبد العزيز بن مروان (86 هـ)، ولا حتى بوفاة الخليفة عبد الملك نفسه (86 هـ)، بل استمر وأصبح عادة جارية لأهل مصر، كما أنه شاع في بلاد الإسلام شرقا وغربا، حتى عُوف بالمسجد النبوي بالمدينة، فأنكره علماؤها. فقد ورد أن الناس اجتمعوا عشية يوم عرفة في المسجد النبوي، فخرج عليهم الإمام نافع (ت 117 هـ)، فقال: "أيها الناس، إن الذي أنتم عليه بدعة، وليست بسُنة، إنا أدركنا الناس ولا يصنعون مثل هذا، ثم رجع فلم يجلس، ثم خرج الثانية ففعل مثلها، ثم رجع".[91] وورد أيضا أن الفقيه المصري عبد الله بن وهب (ت 197 هـ)، قال: "سألت مالكا عن الجلوس يوم عرفه، يجلس أهل البلد في مسجدهم ويدعو الإمام رجالا يدعون الله تعالى للناس إلى غروب الشمس، فقال: ما نعرف هذا، وإن الناس عندنا ليفعلونه".[92] وورد أيضا عن ابن وهب أنه

[91] ابن وضاح، البدع والنهي عنها، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية/جدة: مكتبة العلم، الطبعة الأولى، 1995/1416، ص 93. انظر أيضا

Elad, "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock", pp. 172-173.

[92] الطرطوشي، الحوادث والبدع، ص 257؛ أبو شامة المقدسي، الباعث، ص 110–111. انظر أيضا عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، ص 364.

قال:سُمعت مالكا يُ سأل عن جلوس الناس في المسجد عشية عرفة بعد العصر واجتماعهم للدعاء، فقال: ليس هذا من أمر الناس، وإنما مفاتيح هذه الأشياء من البدع".[93]

أما في بيت المقدس فقد استفحلت هذه الظاهرة استفحالا فاحشا، وخرجت عن طورها، وبالغ الناس في اعتقادهم وتقديسهم لها حتى أنهم اتخذوها ذريعة إلى إسقاط فريضة الحج إلى بيت الله الحرام. فقد ذكر أبو بكر الطرطوشي (ت 520 هـ) في زمانه (القرنين الخامس والسادس الهجريين): "أنه إذا كان يوم عرفة ببيت المقدس حشر أهل السواد وكثير من أهل البلد، فيقفون في المسجد مستقبلين القبلة مرتفعة أصواتهم بالدعاء كأنه موطن عرفة. وكنت أسمع هناك سماعا فاشيا منهم أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات، فإنها تعدل حجة، ثم يجعلونه ذريعة إلى إسقاط فريضة الحج إلى بيت الله الحرام".[94]

ولكن التعريف بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط اقتصر فقط على الدعاء والذكر، حتى إن الإمام الليث بن سعد – إمام أهل مصر وفقيههم الأكبر – لم ينكره على الناس، وإن رغب عن الاشتراك معهم في فعله. فقد ورد عن القاضي الحارث بن مسكين (ت 250 هـ) أنه قال: "كنت أرى الليث بن سعد ينصرف بعد العصر يوم عرفة فلا يرجع إلى قرب المغرب".[95]

ويستخلص مما سبق، أن التعريف بمصر وإن كان قد نشأ في ظل أحداث سياسية (الصراع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير)، وعلى يد طرف أصيل من أطرافها (عبد العزيز بن مروان)، إلا أن هذا البعد السياسي لم يغلب على صبغة الظاهرة وطبيعتها الدينية في مصر، إذا أننا لم نجد في المصادر ما يفيد بأن عبد العزيز بن مروان استغل هذه الظاهرة استغلالا سياسيا، وإنما قام يذكر الله ويدعوه كما فعل عبد الله بن عباس ومصعب بن الزبير من قبل في العراقين: البصرة والكوفة.

بقي سؤال واحد مهم: **هل نشأة التعريف بمصر وبناء قبة الصخرة ببيت المقدس شكلا تغييرا جوهريا في سياسة خلفاء بني أمية تجاه فريضة الحج إلى مكة؟**

الإجابة على هذا السؤال نجدها في متن بردية عربية نشرتها البروفيسورة بترا سيبستاين (Petra Sijpesteijn).[96] هذه البردية محفوظة الآن بمتحف المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو بأمريكا (The Oriental Institute Museum,

[93] الطرطوشي، الحوادث والبدع، ص 257؛ أبو شامة المقدسي، الباعث، ص 110–111. انظر أيضا عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، ص 364.

[94] الطرطوشي، الحوادث والبدع، ص 259–260. انظر أيضا أبو شامة المقدسي، الباعث، ص 112؛ عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، ص 367.

[95] الطرطوشي، الحوادث والبدع، ص 259؛ أبو شامة المقدسي، الباعث، ص 111. انظر أيضا عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، ص 366.

[96] P.SijpesteijnInvitation.

the University of Chicago)، تحت رقم سجل (OI 17653)،[97] وهي عبارة عن رسالة خاصة مُرسلة من سهل بن عبد العزيز (بن مروان)، المتوفي سنة 99 هـ،[98] إلى عقبة بن مسلم (التُجيبي) المتوفي حوالي سنة 120 هـ،[99] والذي كان يعمل إماما وقاصًا في جامع عمرو بن العاص. ولما كانت البردية خالية من تاريخ يُعين على تحديد عمرها، كان السبيل أمام البروفيسورة سيبستاين إلى استنتاج نسبها التاريخي هو الاعتماد على الأشخاص المذكورين بالبردية، بالإضافة إلى الرسم الخَطّي وأسلوب الكتابة.[100] وبناء عليه، أرجعت سيبستاين تاريخ البردية إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين أو ربما قبل ذلك بمدة (في الفترة ما بين سنة 86 هـ، تاريخ وفاة عبد العزيز بن مروان، وسنة 99 هـ، تاريخ انتقال سهل بن عبد العزيز إلى دمشق ووفاته فيها).[101]

وقبل الشروع في تحليل مضمون البردية، وجب عرض نص البردية أولا، حتى يتسنى للقارئ الاطلاع على فحواها عن كثب، ومن ثم يتعرف على أهميتها للموضوع محل النقاش.[102]

نص البردية

الوجه:

1. بسم الله الرحمن الرحيم
2. من سهل بن عبد العزيز إلى
3. عقبة بن مسلم سلم عليك
4. فإني أحمد إليك الله الذي
5. لا إله إلا هو
6. أما بعد فإني ذكرت الحج و

[97] لوصف البردية راجع P.SijpesteijnInvitation, p. 180.

[98] سهل بن عبد العزيز بن مروان. أمه أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص، توفي بالشام سنة 99 هـ. وصفه ابن تغري بردي بأنه كان فاضلا دينا زاهدا. انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج 8، ص 126؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، 29 جزءا، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 2000، ج 16، ص 6؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 308.

[99] أبو محمد عقبة بن مسلم التُجيبي القاص، إمام الجامع العتيق. ذكر ابن يونس أنه توفي قريبا من سنة 120 هـ. انظر ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 349؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص 269؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، 3 أجزاء، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1978–1990، ج 2، ص 146.

[100] للمزيد عن خصائص الكتابة في هذا النص راجع P.SijpesteijnInvitation, pp. 181-183.

[101] P.SijpesteijnInvitation, pp. 179, 189.

[102] انظر اللوحة رقم 3.

7. قد أذن به أمير المؤمنين للناس
8. وحض عليه
9. فإن استطعت أن تخرج معي فافعل
10. فإنك إن تشاء تفعل
11. ذلك إن شاء الله اخرج إلي مع رواحلي
12. ولا تكلفن شيئا غير كراء راحلة
13. والسلم عليك ورحمت الله

الظهر: من سهل بن عبد العزيز إلى عقبة بن مسلم

البردية تتكون من ثلاثة عشر سطرا، وكعادة رسائل البردي التي تعود إلى القرنين الأولين الهجريين تفُتتح الرسالة بالبسملة في سطرها الأول، ثم يأتي ذكر اسمي طرفي الرسالة: الراسل والمرسل إليه (internal address)، ثم الصيغة الافتتاحية المعهودة (سلم عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد)، وقد شغلت هذه الافتتاحية (prescript) خمسة أسطر من نص البردية (سطور 1–5). أما صلب النص فيقع في الأسطر السبعة اللاحقة (6–12)، وتنتهي الرسالة في سطرها الثالث عشر بالتسليم (والسلم عليك ورحمت الله).[103] أما ظهر البردية (verso) فيحتوي على العنوان الخارجي (exterior address) في سطر واحد، وهو مماثل للعنوان المذكور في وجه البردية في سطريها الثاني والثالث، دون أي إشارة إلى مكان تسليم الرسالة، وهو ما يشير إلى معرفة حامل الرسالة بشخص المرسل إليه (عقبة بن مسلم التُجيبي) ومكان إقامته خارج الفسطاط.[104] وترجح المحققة أن عقبة بن مسلم كان متواجدا في تلك الفترة بالريف لرعاية قطيع إبل سهل بن عبد العزيز، استنادا إلى ما ورد في نص البردية في سطرها الحادي عشر (اخرج إلي مع رواحلي).[105]

أما عن موضوع هذه البردية، فهو عبارة عن دعوة من سهل بن عبد العزيز لعقبة بن مسلم إمام المسجد الجامع للخروج معه إلى الحج على رواحله، ويعلمه أنه لن يتكلف شيئا إلا كراء راحلته فقط، مما يتفق وحديث رسول الله ﷺ

[103] للمزيد عن الصيغ الافتتاحية والختامية لرسائل البردي التي تعود إلى القرنين الأولين الهجريين، انظر
E.M. Grob, *Documentary Arabic Private and Business Letters on Papyrus: Form and Function, Content and Context*, Berlin-New York: De Gruyter, 2010, pp. 23-83; P.JoySorrow, pp. 21-24; K.M. Younes, "Review of E.M. Grob, Documentary Arabic Private and Business Letters on Papyrus: *Form and Function, Content and Context* (Berlin/New York: De Gruyter, 2010)", *Bulletin of the American Society of Papyrologists* 49 (2012): 375-378, at 376-377.
[104] Grob, *Documentary Arabic Private and Business Letters*, p. 95; P.JoySorrow, p. 23.
[105] P.SijpesteijnInvitation, p. 184.

حين سُئل عن السبيل في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)، قال ﷺ: (الزاد والراحلة).[106]

ولكن أهم ما في نص هذه البردية، ما جاء في سطورها 6–8، والتي جاء فيها أن الخليفة (أمير المؤمنين) قد **أذن للناس بالحج وحض عليه**. هذه العبارة تؤكد لنا حرص خلفاء بني أمية على تسيير قوافل الحج في الأمصار وحض الناس على قضاء فريضة الحج، إذ لم يعد هناك ما يمنع من قضاء الفريضة، فالطرق سالكة وآمنة، والكعبة قد أُعيد بناؤها وأعدت لاستقبال الحجاج من كل حدب وصوب. ويفهم من هذه العبارة أيضا أن الإعلان بدخول موسم الحج كان يتم علنا في الأمصار، غالبا في المساجد الجامعة بعد صلاة الجمعة، لإعلام الناس وتذكيرهم بقدوم الموسم وبخروج قوافل الحج لمن يرغب أن يلتحق بها لقضاء الفريضة.[107]

ومما يسترعي الانتباه في هذه الرسالة المهمة استعمال سهل بن عبد العزيز لبعض الألفاظ المستوحاة من التعبيرات القرآنية المتعلقة بالحج، فهو حين يخبر عقبة بن مسلم بدعوة الخليفة للناس للخروج إلى الحج يستخدم لفظ أذن في قوله: (وقد أذن به أمير المؤمنين للناس وحض عليه)، مستوحيا ذلك من خطاب الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ).[108] كما أن سهل بن عبد العزيز كان يدرك تمام الإدراك حين دعا عقبة للخروج معه إلى الحج أن خروج عقبة إلى الحج مشروط باستطاعته البدنية والمالية (الزاد والراحلة) من جانب، ومتوقف على رغبته وصدق عزيمته وإخلاص نيته لقضاء فريضة الحج من جانب آخر، قال له: (فإن استطعت أن تخرج معي فافعل، فإنك إن تشاء تفعل ذلك إن شاء الله)، مستوحيا ذلك من قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا).[109] هذه العبارة البليغة في صياغتها وتركيبها ونظمها غايتها استثارة الوازع الديني لدى عقبة بن مسلم التجيبي، فمفادها أن التوفيق والتيسير معقودان بصدق النية، وصدق النية معقود بسلامة القلب وخلوص الباطن.

لقد صاغ سهل بن عبد العزيز بن مروان رسالته/دعوته لصاحبه عقبة بن مسلم التجيبي للخروج معه إلى الحج بإيجاز ينم عن دقة فهم، وغزارة علم، وحسن بيان، وصدق عزيمة على قضاء فريضة الحج. هذه الرسالة على اقتضابها تدفع تهمة لطالما التصقت بعمه عبد الملك وخلفائه (أبنائه وأحفاده) من بعده؛ أنه إنما ابتنى قبة الصخرة لتكون بمثابة قِبلة بديلة للمسلمين عوضا عن الكعبة التي كانت في قبضة ابن الزبير، وأنه أخذ الناس بالحج إليها بدلا من الكعبة، وأن ذلك استمر أيام بني أمية. هذه التهمة التي لم يأل خصوم بني أمية السياسيين جهدا في الترويج لها بين أنصارهم وأنصار بني أمية على حد سواء، حتى صارت سُبَّة في جبين الأمويين إلى يوم الناس هذا.

---

[106] البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، 10 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2003، ج 4، ص 535–536، حديث (8623، 8624). انظر أيضا الموسوعة الفقهية، ج 17، ص 30–33.

[107] P.SijpesteijnInvitation, p. 185.

[108] سورة الحج، آية 27.

[109] انظر أيضا P.SijpesteijnInvitation, pp. 188, 190.

الخاتمة

لم يكن عبد العزيز بن مروان واليا أمويا عاديا على مصر، فهو قد قاتل إلى جوار أبيه مروان بن الحكم لاسترداد مصر من قبضة الوالي الزبيري عبد الرحمن بن جحدم، فلما استقر لهما الأمر بها، وأخذا البيعة من أهلها، وَّلى مروان ابنه عبد العزيز على مصر وأوصاه بأهلها، ثم لم يلبث مروان أن مات، فولي الخلافة من بعده ابنه الأكبر عبد الملك، فأقر أخاه عبد العزيز على ولاية مصر، فوليها عبد العزيز إلى أن مات سنة 86 هـ، فكانت ولايته عليها لأكثر من عشرين سنة، حاز بها أطول ولاية في باكورة ولايات مصر الإسلامية. وبالإضافة إلى كونه واليا على مصر، كان عبد العزيز وليًّا للعهد بعد أخيه عبد الملك، وكان من الممكن أن يصبح خليفة للمسلمين بين عشية وضحاها، ولكن المنية عاجلته، وعاجلت ابنه الأكبر الأصبغ، والذي كان عبد العزيز يعول عليه كثيرا من بعده. كان عبد العزيز في ولايته الطويلة تلك يتمتع بحرية سياسية وإدارية مطلقة، فكان أشبه بأمير مستقل على مصر وما ورائها من البلاد المفتوحة في الشمال الإفريقي. والشواهد على ذلك كثيرة، فمنذ البداية أمر عبد العزيز أن تختلف صيغة تسميته بالإمارة عن باقي الولاة تمييزا له وتقديرا لمكانته من ولاية العهد (عبد العزيز بن مروان الأمير) – كما أظهرت لنا البرديات العربية التي ترجع إلى فترة ولايته –، كما أمر أن تبُنى له دارا عظيمة غربي المسجد الجامع، وهي الدار المذهبة، والتي عُرفت أيضا بالمدينة لكبر حجمها وعِظم نفقتها،[110] كما أنه اتخذ من حلون مقرا ثانيا لإقامته على عادة خلفاء بني أمية في دمشق، كما ترجح الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف.[111] والأهم من ذلك كله، أنه احتفظ بخراج مصر لمصر ولنفسه، ولم يرسل شيئا من خراجها إلى أخيه الخليفة بدمشق.[112]

وبسبب مكانة عبد العزيز من ولاية العهد، كانت العلاقة بين عبد العزيز وأخيه الخليفة يشوبها بعض الريبة والحذر، فقد ورد أن عبد العزيز لم يَقْدِم على أخيه الخليفة في دمشق طوال مدة ولايته على مصر إلا مرتين اثنتين فقط، أولاهما سنة 67 هـ أو 69 هـ (سنة قُتِل عمرو بن سعيد الأشدق)، والثانية سنة 75 هـ.[113] وقد ازدادت حدة التوتر بينهما حين كتب عبد الملك إلى عبد العزيز يطلب إليه أن يتنازل له عن ولاية العهد، ليعهد بها إلى ابنيه الوليد وسليمان، فأبى عبد العزيز وكتب إليه: "إن يكن لك ولد، فلنا أولاد، والله يقضي بما يشاء"، وجاء في كتابه أيضا: "إنك لو رأيت الأصبغ لسرك، ولم تقدم عليه أحدا"، فاستشاط عبد الملك غضبا على أخيه، ودعا الله قائلا: "فرق الله

[110] هذه الدار أحرقها مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، عند قدومه إلى مصر سنة 132 هـ هربا من العباسيين. قال الكندي: "وعزم مروان على تعدية النيل، فأمر بدار آل مروان المذهبة فأحرقت، فقال له زبان بن عبد العزيز: إنها دار بني عبد العزيز، وقد أُعظِمت فيها النفقة، فقال مروان: إن أبقَ أُبنِها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإلا فما تصاب به من نفسك أعظم". انظر الكندي، الولاة والقضاة، ص 49، 95.

[111] سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 172.

[112] ذكر الكندي رواية عن ابن عفير، جاء فيها: "ولي عبد العزيز مصر، فكان خراجها وجبايتها إليه". الكندي، الولاة والقضاة، ص 55. انظر أيضا ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 353.

[113] الكندي، الولاة والقضاة، ص 49، 51.

بيني وبينه"، ولكن عبد العزيز ظل مسالما حتى الرمق الأخير، فحين بلغته مقالة أخيه، قال: "أَفعل؟! أنا والله مفارقه، والله ما دعا دعوة قط إلا أُجيبت"، فمات من سنته، وعصم الله المسلمين من وقوع فتنة أخرى، علم الله ما كان يكون من أمرها.[114]

لقد كان عبد العزيز بن مروان مخلصا لأمويته وفيًا لها، وصادقا في ولائه لأخيه عبد الملك بصفته الخليفة. وقد ظهر ذلك جليا في صراع عبد الملك مع ابن الزبير، إذ لعبت مصر دورا مهما في إنهاء الصراع لصالح بني أمية، واستعادة وحدة الأمة تحت قيادة عبد الملك. فقد شاركت مصر عسكريا لانهاء الصراع، إذ ورد أن عبد العزيز أرسل بعثًا عسكريًا بحريًا عدته ثلاثة آلاف مقاتل عليهم مالك بن شَراحِيل[115] الخولاني[116] لمعاونة جند الحجاج الثقفي في القضاء على ابن الزبير سنة 72 هـ، وقد ورد أن أحدهم وهوعبد الرحمن بن يـُ حَنَّس (مولى من موالي بني تُجيب) هو من باشر قتل ابن الزبير، فكافأه عبد العزيز بأن فرض له في الشرف (زاد في عطائه)، وجعل له العرافة على موالي بني تُجيب.[117]

في ظل الصراع المحتدم بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، وتحديدا سنة 71 هـ، قام عبد العزيز بن مروان فَعرَّف بجامع عمرو بن العاص بمصر، فكان ذلك مدعاة لوصم نشأة تلك الظاهرة بوصمة سياسية وربطها بأحداث ذلك الصراع. وقد أظهرت الدراسة من خلال استقراء الروايات التاريخية وتحليليها والترجيح بين صحيحها ومنحولها أن التعريف المصري لم يختلف في طبيعته عن التعريف الذي عرفته مساجد البصرة والكوفة من قبل، وأنه اقتصر على الدعاء والذكر، ولمِ ستغل سياسيا للنيل من شخصية ابن الزبير وباقي الخصوم السياسيين لبني أمية، الأمر الذي ينفي الصبغة السياسية البحتة لنشأة التعريف بمصر. كما أن استمرار التعريف بجامع عمرو بن العاص

[114] الكندي، الولاة والقضاة، ص 54؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 280؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 261–262؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 6، ص 412–415؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 234–235؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 36، ص 352–353؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 167–168.

[115] عند المقريزي شراحبيل وهو تصحيف. المقريزي، الخطط، ج 1، ص 571.

[116] مالك بن شراحي ل بن عمرو بن عُوْف بن كُرْيب بن أسلم بن قيس بن عَلّاس بن نصر بن منصور بن عمرو بن ربيعة بن قيس بن بِشر بن سعيد بن حاشد بن خُثَيم بن همدان بن الهمداني (حليف خولان، كما ذكر ابن يونس. وذكر الكندي أنه عديد خولان وهو من همدان). كان مقدما عند عب د العزيز بن مروان، ولاه عبد العزيز قضاء مصر بعد وفاة عبد الرحمن بن حُجَيْرة في المحرم سنة 83 هـ، وظل واليا عليها إلى أن صُرف في صفر سنة 84 هـ، فكانت ولايته على قضائها سنة وشهرا. ورد أن الحجاج بن يوسف بنى له مسجدا في مصر في خطة خولان بأمر من الخليفة عبد الملكبن مروان، وقد عُرف هذا المسجد بمسجد مالك بن شراحيل، وكان يـُ قال له أيضا مسجد الأديم، وكان الحجاج يـُ رسل إليه في كل سنة بُطَّة وثلاث آلآلف درهم جزاء استبساله في قتال ابن الزبير. ابن يونس، تاريخ بن يونس، ج 1، ص 424؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 320–322؛ وكيع، أخبار القضاة، ص 634؛ ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998، ص 322.

[117] الكندي، الولاة والقضاة، ص 51؛ المقريزي، الخطط، ج 1، ص 571. انظر أيضا سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص 30، 192.

بصورته التعبدية بعد وفاة جميع الأطراف السياسيين: ابن الزبير (73 هـ)، الوالي عبد العزيز بن مروان (86 هـ)، الخليفة عبد الملك بن مروان (86 هـ) لهو دليل على الصبغة الدينية لا السياسية للتعريف المصري، وفي كل الأحوال لم يكن التعريف عِدْلا للحج ولا بديلا عنه.

كما أن المتأمل في نشأة عبد العزيز بن مروان في المدينة المنورة وسيرته في فترة ولايته على مصر وما جرى على يديه من إنشاءات وإصلاحات سياسية وإدارية ومالية وعسكرية وقضائية ودينية ومعمارية سيدرك أن نشأة التعريف في جامع عمرو بن العاص سنة 71 هـ، لم يكن العمل الوحيد ذو الطابع الديني لعبد العزيز بن مروان في مصر، فقد تبع التعريف كتابة المصحف الإمام سنة 76 هـ، ثم توسعة جامع عمرو بن العاص سنة 77 هـ. هذه الأعمال جميعها، وإن كان لها بعد سياسي لا يمكن تجاهله أو إغفاله، إلا أن باعثها الأصلي هو الباعث الديني وليس السياسي على الظاهر.

ومن جميل الأقدار أن حفظت لنا البرديات العربية دليلا وثائقيا قويا يعود إلى فترة ما بعد انتهاء الصراع بين الأمويين وابن الزبير، خاصة وأن أحد أطراف هذه الوثيقة (الراسل) له ارتباط وثيق بالأسرة المروانية الحاكمة، وهو سهل بن عبد العزيز بن مروان. ورغم أن هذه الوثيقة –والتي تُعد أهم وأقدم وثيقة رسمية تتعلق بقضاء فريضة الحج في تلك الفترة المبكرة من تاريخ مصر الإسلامية [118] – لم تخبرنا بمزيد من التفاصيل عن رحلة الحج ولا عن حقيقة خروج عقبة بن مسلم مع سهل بن عبد العزيز إلى الحج في تلك السنة، إلا أنها تؤكد لنا حرص بني أمية – خلفاء وأمراء – على تسيير قوافل الحج في الأمصار وحض الناس على قضاء فريضة الحج، مما يؤكد بطلان ما ادعاه بعض خصوم بني أمية – قدماء ومعاصرين – بأن عبد الملك بن مروان إنما ابتنى قبة الصخرة لتكون بمثابة قبلة بديلة للمسلمين، وأنه أخذ الناس بالحج إليها بدلا من الكعبة، وأن ذلك استمر أيام بني أمية.

[118] للمزيد عن الحج في البرديات العربية، انظر P.JoySorrow, pp. 53-57.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولا: المصادر العربية

ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت 849/253)، المصنف، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 2004.

ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت 1233/630)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، 11 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1987.

ابن البطريق: سعيد (ت 940/328)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1905.

ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 1200/597–1201)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، 18 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1992.

ابن الزيات: شمس الدين محمد بن الزيات (ت 1412/814)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1907.

ابن إياس: أبو البركات زين العابدين محمد بن أحمد الحنفي (ت 1523/930)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، 8 أجزاء، مكة المكرمة: دار الباز، د.ت.

ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن سيف الدين تغري بردي (ت 1470/874)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، 16 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1992.

ابن حجر: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت 1449/852)، تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله الدرعمي، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت.

ابن حجر: تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، 4 أجزاء، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995.

ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998.

ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت 1407/809)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، د.ت.

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 845/230)، الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، 11 جزءا، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 2001.

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 871/257)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد صبيح، القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت.

ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (ت 940/328)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحيني، 8 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1983.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت 1176/571)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، 74 جزءا، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 1373/774)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، 21 جزءا، القاهرة: دار هجر، الطبعة الأولى، 1997.

ابن وضاح: محمد بن وضاح القرطبي (ت 900/287)، البدع والنهي عنها، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية/جدة: مكتبة العلم، الطبعة الأولى، 1995/1416.

ابن يونس: أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس (ت 958/347)، تاريخ ابن يونس الصدفي، تحقيق: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، جزءان، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2000.

أبو شامة المقدسي: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 1267/665)، الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد، القاهرة: مكتبة مجد الإسلام، الطبعة الأولى، 2007.

البخاري: محمد بن إسماعيل (ت 870/256)، صحيح البخاري، دمشق/بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى، 2002.

البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 892/279)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، 13 جزءا، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1996.

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 1066/458)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، 10 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2003.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت 1657/1068)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جزءان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

خليفة بن خياط (ت 855/240)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض: دار طيبة، الطبعة الثانية، 1985.

خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بغداد، 1967.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 1374/748)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، 53 جزءا، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1990.

الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، 5 أجزاء، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، 1960.

الذهبي، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: غنيم عباس غنيم ومجدي السيد أمين، 10 أجزاء، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2004.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، 25 جزءا، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1996.

سبط ابن الجوزي: أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلي (ت 1256/654)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، 22 جزءا، بيروت: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 2013.

السخاوي: أبو الحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود (ت بعد 1484/889)، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تحقيق: محمود ربيع وحسن قاسم، القاهرة: مطبعة العلوم والآداب، 1937.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 1505/911)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1967.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 1363/764)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، 29 جزءا، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 2000.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 923/310)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 10 أجزاء، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1969.

الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف (ت 1126/520)، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد زكي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1990.

عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 827/211)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، 11 جزءا، بيروت: المجلس العلمي، الطبعة الأولى، 1970.

العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 1005/395)، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1981.

علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، 6 مجلدات، القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، 1306 هـ.

العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 1349/749)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري وآخرون، 27 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2010.

القاري: أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد (ت 1606/1014)، الأدب في رجب، تحقيق: مشهور حسن سلمان، بيروت/دمشق/عمان: المكتب الإسلامي/دار عمار، الطبعة الأولى، 1991.

القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر (ت 1062/454)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف المعروف بتاريخ القضاعي، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1995.

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف (ت 961/350)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: رفن كست، ليدن: بريل، 1912.

المزي: أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت 1341/742)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، 35 جزءا، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1983.

مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت 875/261)، صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 1441/845)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، 6 أجزاء، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995.

المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 2000.

النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت 676 /1277)، تهذيب الأسماء واللغات، 4 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 1333/733)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، 33 جزءا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2004.

وكيع: محمد بن خلف بن حيان (ت 918/306)، أخبار القضاة، مراجعة: سعيد محمد اللحام، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2001.

اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 1367/768)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، 4 أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1997.

ياقوت الحموي: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 1229/626)، معجم البلدان، 5 أجزاء، بيروت: دار صادر، 1977.

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت 905/292)، تاريخ اليعقوبي، جزءان، بيروت: دار صادر، الطبعة السادسة، 1995.

ثانيا: المراجع العربية

حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ أبو عمر محمد بن يوسف المصري وكتابه الولاة والقضاة، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 8 أجزاء، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، 2002.

سيدة إسماعيل كاشف، عبد العزيز بن مروان، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر/دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967.

سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، 3 أجزاء، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1978–1990.

عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2004.

عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، البدع الحولية، الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000.

عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، 20 هـ– 358 هـ، القاهرة: دار المعارف، 1970.

فواز علي بن جنيدب الدهاس، مروان بن الحكم: مؤسس الفرع المرواني في الدولة الأموية، جامعة أم القرى: مركز بحوث الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 2004.

محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1988.

مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي/دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000.

الموسوعة الفقهية، 45 جزءا، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة الثانية، 1983.

ثالثا: المراجع الأجنبية

Bell, H.I., "The Arabic Bilingual Entagion," *Proceedings of the American Philosophical Society* 89/3 (1945): 531-542.

Blair, S., "What is the Date of the Dome of the Rock?", in J. Raby and J. Johns (eds.), *Bayt al-Maqdis*: *'Abd al-Malik's Jerusalem*, Oxford, 1992, 59-88.

Crone, P. and Hinds. M., *God's Caliph: Religious Authority in the First Centuries of Islam*, Cambridge: Cambridge University Press, 1986.

Elad, A., "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock: A Further Examination of the Muslim Sources", *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 35 (2008): 167-226.

Elad, A., "Why did 'Abd al-Malik build the Dome of the Rock? A Re-examination of the Muslim Sources", in J. Raby and J. Johns (eds.), *Bayt al-Maqdis: 'Abd al-Malik's Jerusalem*, Oxford, 1992, 33-58.

Elad, A., *Medieval Jerusalem and Islamic Worship: Holy Places, Ceremonies, Pilgrimage*, Leiden: Brill, 1995.

Goldziher, I., *Muslim Studies* (*Muhammedanische Studien*), ed. S.M. Stern and trans. C.R. Barber and S.M. Stern, 2 vols., Chicago: Aldine Publishing, 1971.

Grabar, O., "The Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem", *Ars Orientalis* 3 (1959): 33-62.

Grabar, O., *La formation de l'art islamique*, Paris, 1987.

Grabar, O., *The Dome of the Rock*, Cambridge, 2006.

Grob, E.M., *Documentary Arabic Private and Business Letters on Papyrus: Form and Function, Content and Context*, Berlin-New York: De Gruyter, 2010.

Grohmann, A., *Studien zur historischen Geographie und Verwaltung des mittelalterlichen Aegypten*, Vienna, 1959.

Hawting, G.R., *The First Dynasty of Islam. The Umayyad Caliphate AD 661–750*, London: Croom Helm, 1986.

Kaplony, A., *The Ḥaram of Jerusalem, 324-1099: Temple, Friday Mosque, Area of Spiritual Power*, Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 2002.

Kennedy, H., "Egypt as a Province in the Islamic Caliphate, 641–868", in C. Petry (ed.), *The Cambridge History of Egypt: Islamic Egypt 640-1517*, Cambridge: Cambridge University Press, 1998, 62–85.

Kessler, C., "'Abd al-Malik's Inscription in the Dome of the Rock: A Reconsideration", *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* 1 (1970): 2-14.

Khoury, N.N.N., "The Dome of the Rock, the Kaʿba, and Ghumdan: Arab Myths and Umayyad Monuments", *Muqarnas* 10 (1993): 57-65.

Necipoğlu, G. "The Dome of the Rock as Palimpsest: 'Abd al-Malik's Grand Narrative and Sultan Süleyman's Glosses", *Muqarnas* 25 (2008): 17-105.

Rabbat, N., "The Dome of the Rock Revisited: Some Remarks on al-Wasiti's Accounts", *Muqarnas* 10 (1993): 66-75.

Rabbat, N., "The Meaning of the Umayyad Dome of the Rock", *Muqarnas* 6 (1989): 12-21.

Robinson, C.F., '*Abd al-Malik*, Oxford: One World Publications, 2005.

Rosen-Ayalon, M., "The Early Islamic Monuments of al-Ḥaram al-Sharīf. An Iconographic Study", *Jérusalem* 28 (1989): i-xvi, 1-73.

S.D. Goitein, "The Sanctity of Jerusalem and Palestine in Early Islam", in *Studies in Islamic History and Institutions*, Leiden: Brill, 1966, 135-148.

Shani, R., "The Iconography of the Dome of the Rock", *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 23 (1999): 158-207.

Soucek, P., "The Temple of Solomon in Islamic Legend and Art", in J. Gutmann (ed.), *The Temple of Solomon*, Missoula: Scholars Press, 1975, 73-123.

Tillier, M., "'Abd al-Malik, Muḥammad et le Jugement dernier: le dôme du Rocher comme expression d'une orthodoxie islamique", in *Les vivants et les morts dans les sociétés médiévales. Actes du XLVIIIe Congrès de la SHMESP* (Jérusalem, 2017), Paris, Éditions de la Sorbonne, 2018, 341-365.

Van Berchem, M., *Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicum. Deuxième partie: Syrie du sud. Tome deuxième: Jérusalem «Ḥaram»*, Cairo, 1927.

Van Ess, J., "'Abd al-Malik and the Dome of the Rock. An Analysis of some Texts", in J. Raby and J. Johns (eds.), *Bayt al-Maqdis*: *'Abd al-Malik's Jerusalem*, Oxford, 1992, 89-103.

Younes, K.M., "New Governors Identified in Arabic Papyri", in M. Legendre, A. Delattre and P.M. Sijpesteijn (eds.), *Authority and Control in the Countryside:*

From Antiquity to Islam in the Mediterranean and Near East (6th-10th Century), *Leiden Studies in Islam and Society* 9, Leiden: Brill, 2019, 13-43.

Younes, K.M., "Review of E.M. Grob, Documentary Arabic Private and Business Letters on Papyrus: Form and Function, Content and Context (Berlin/New York: Walter de Gruyter, 2010)", *Bulletin of the American Society of Papyrologists* 49 (2012): 375-378.

رابعا: الاختصارات الخاصة بمراجع البردي

P.SijpesteijnInvitation = Sijpesteijn, P.M., "An Early Umayyad Papyrus Invitation for the Ḥajj," *Journal of Near Eastern Studies* 73 (2014): 179-190.

P.JoySorrow = Younes, K.M.M., *Joy and Sorrow in Early Muslim Egypt: Arabic Papyrus Letters; Text and Content* (PhD Thesis, Leiden University, 2013).

P.Khalili I = Khan, G., *Arabic Papyri: Selected Material from the Khalili Collection*, Oxford, 1992.

P.DiemFrueheUrkunden = Diem, W., "Einige frühe amtliche Urkunden aus der Sammlung Papyrus Erzherzog Rainer (Wien)," *Le Muséon* 97 (1984): 109-158.

P.Alqab = Muġāwirī, S.M., *al-Alqāb wa-asmāʾ al-ḥiraf wa-l-waẓāʾif fī ḍawʾ al-bardīyāt al-ʿarabīya*, 3 vols., Cairo, 2000-2002.

P.DelattreEntagion = Delattre, A., Pintaudi, R., Vanthieghem, N., "An entagion bilingue du gouverneur ʿAbd al-ʿAzīz ibn Marwān trouvé à Antinoé," *Chronique d'Égypte* 33 (2013): 363-371.

P.Gascou = Mélanges Jean Gascou: Textes et études papyrologiques (P.Gascou), ed. J.-L. Fournet, A. Papaconstantinou, Paris 2016.

P.MerxDocuments = Merx, A., *Documents de paléographie hébraîque et arabe*, Leiden, 1894.

P.KarabacekBemerkungenMerx = Karabacek, J., "Bemerkungen zu Adalbert Merx: Documents de Paléographie hebraïque et arabe. Leyden 1894," *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes* 8 (1894): 293-294.

خامسا: المواقع الإلكترونية

موقع معهد الدراسات الشرقية والأسيوية بجامعة ميونخ لتحويل التاريخي الهجري لميلادي والعكس (Islamischer Kalender).

https://www.apd.gwi.uni-muenchen.de/aps/home/chrono_islam.html (accessed, February 2023).

"Al-Taʿrīf" in the Grand Mosque of ʿAmr b. al-ʿĀṣ in Fusṭāṭ: The Origin and Causes

Khaled Mohamed Mahmoud Younes

Associate Professor of Islamic History and Civilization, Faculty of Tourism and Hotels, University of Sadat City

ABSTRACT: This article aims to study the origin of *al-Taʿrīf* (i.e., to hold the ʿArafāt ceremony [outside Mecca] in the Grand Mosque after *ʿAsr* prayer) in the mosque of ʿAmr b. al-ʿĀṣ during the reign of the governor ʿAbd al-ʿAzīz b. Marwān (in office 65-86/685-705) in an attempt to understand the essence of this phenomenon and the reasons for its emergence, considering the impact of the armed struggle between the Umayyads and Zubayrids during the period of the second *fitna* that lasted for 10 years (63-73/682-692), and ended with the murder of ʿAbd Allāh b. al-Zubayr in 73/692. The main goal of this article is, therefore, to address the following research question: Was the inauguration of the *Taʿrīf* in the Grand Mosque of ʿAmr b. al-ʿĀṣ during the reign of ʿAbd al-ʿAzīz b. Marwān an imitation of the *Taʿrīf* that took place in the Grand Mosques of Kūfa and Baṣra or was there a political dimension beyond this practice?

KEYWORDS: *al-Taʿrīf*, Mosque of ʿAmr b. al-ʿĀṣ, Fusṭāṭ, Islamic Egypt, ʿAbd al-ʿAzīz b. Marwān, Second *fitna*, Arabic papyri.

اللوحات

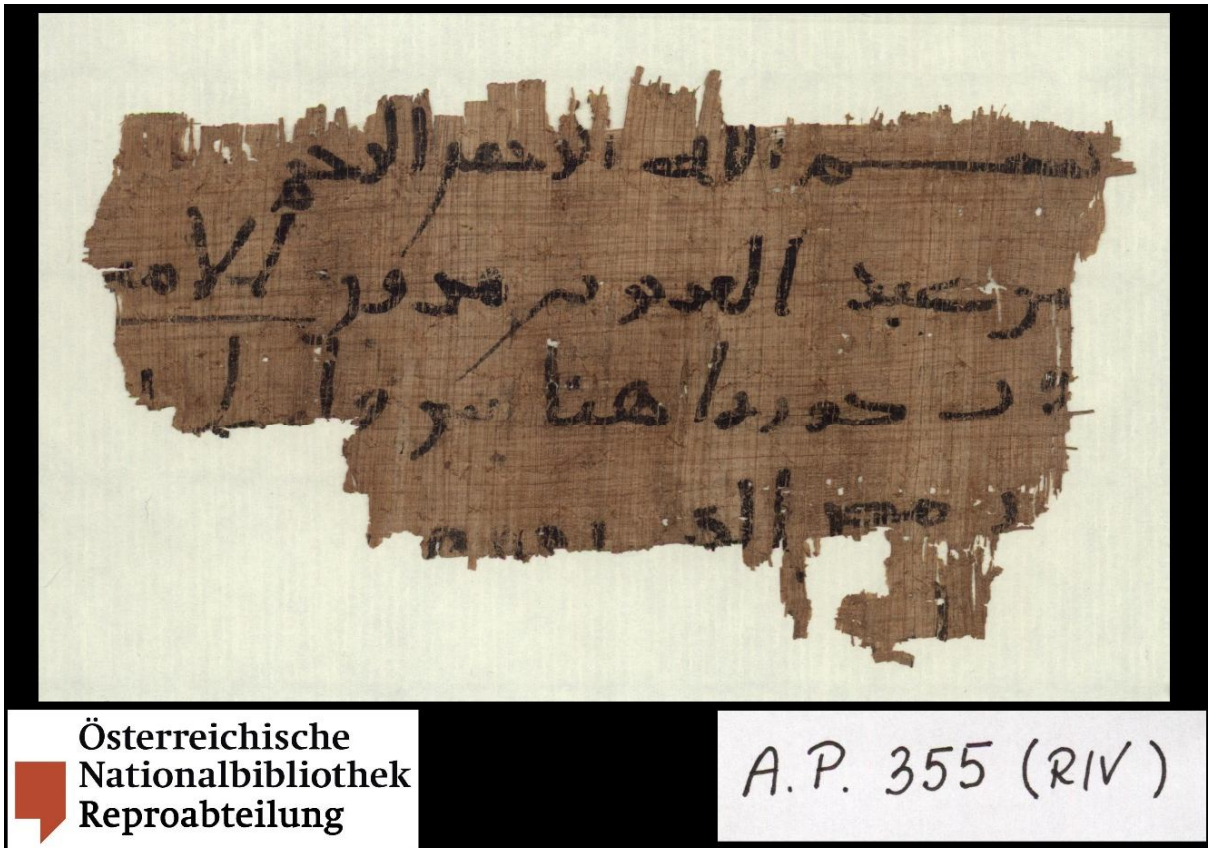

لوحة (1)

P.Vindob. A.P. 00355

© Papyrus Collection, Austrian National Library

المكتبة الوطنية النمساوية بفيينا

http://data.onb.ac.at/rec/RZ00002448

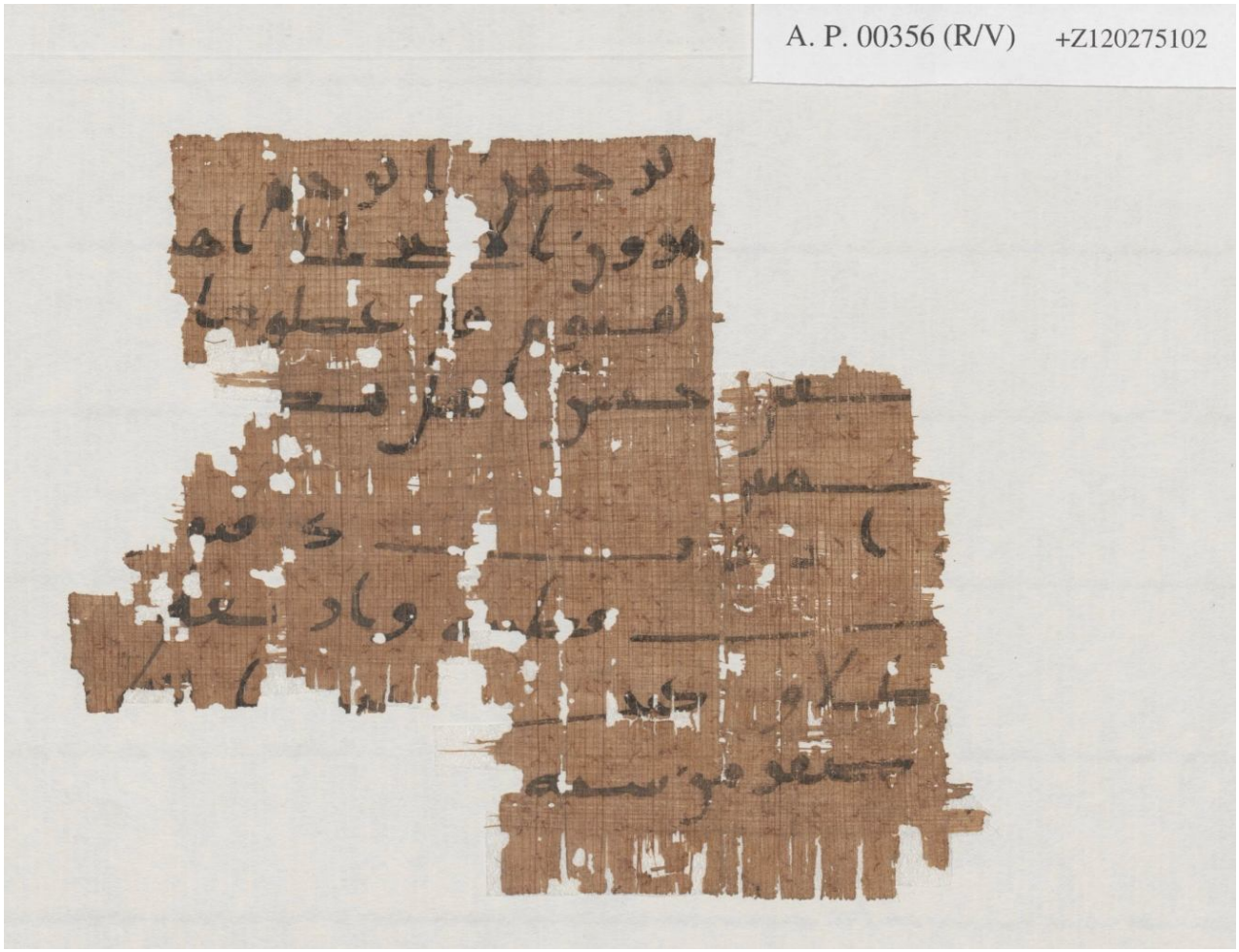

لوحة (2)

P.Vindob. A.P. 00356

© Papyrus Collection, Austrian National Library

المكتبة الوطنية النمساوية بفيينا

http://data.onb.ac.at/rec/RZ00002448

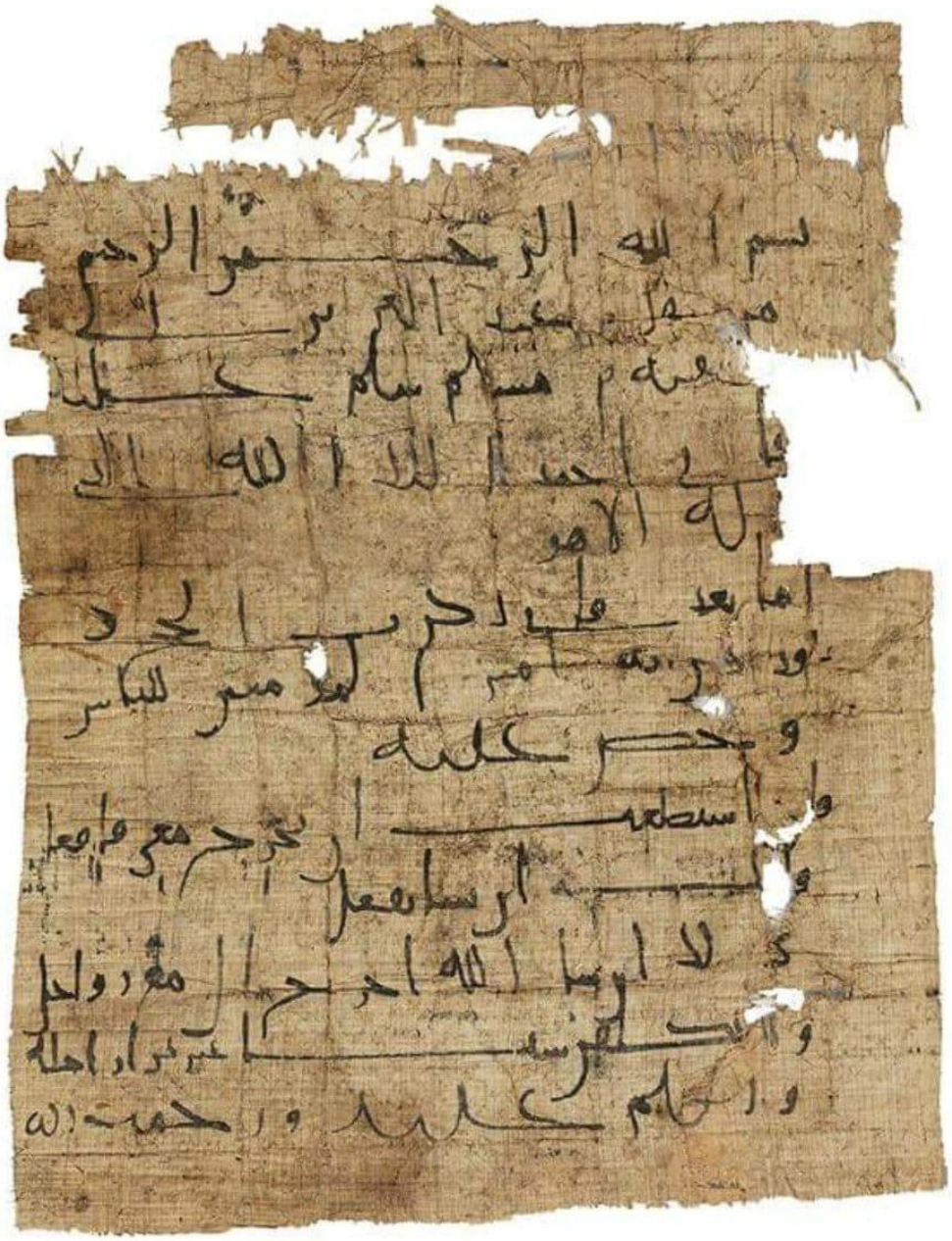

لوحة (3)

OI 17653

© The Oriental Institute Museum, the University of Chicago

متحف المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية